

لغتنا العربية والمشككون

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhr.com>

بقلم

رئيس التحرير

ترنفع أصوات ، بين حين وآخر ، مشككة في اللغة العربية ، وقدرتها على مجاورة ركب العلم والتطور ، تشدد وتعلو طوقاً ، وتهداً وتختف طوقاً آخر ، وربّما كانت الشدة والهدوء حسب ظروف طارئة ، تدفع تلك الأصوات الى الارتفاع ، أو الى الهدوء ، لكنها ظروف على كل حال تتعلق بأحوال الأمة التي تتكلم هذه اللغة ، وأحوال هذه الأمة التي تتكلم اللغة العربية ، منذ عهد الخمول ، تتأرجح بين المد والجزر ، يبدا المد تارة فيحرك الأمة من خيولها ، وإذا بها تنحصر وتتخلف لترفع رأسها من الخمول والخيود ، ولم يكد يصل بها هذا التحرك الى التهوؤ ، حتى نرى السياط تلهب ظهرها ، والتشكك في قدرتها على الوقوف على قديمها يخترها تخديراً وإذا بها تخذل مرة أخرى الى ما كانت عليه ، من خمول وخيود ، ويبدأ الجزر تارة أخرى ، فترنفع معه أصوات من هنا وأصوات من هناك

نشر هذا المقال بمجلة « المجتمع الجديد » البحرينية في عددها (٥٨) حزيران ١٩٧١ لكّته نشر بصورة مضطربة إذ تسدّيت بعض الفقرات ونأخر البعض الآخر مما أفقد المقال تسلسله وانسجام المعاني الواردة فيه .

لغتنا العربية والمشكوكات

مشككة هذه الآمة في لغتها ، داعية الى الغاء هذه اللغة ، وتقويضها من جذورها ، لأن ركب الحضارة يزحف متقدما ، لكن العائق أمامه هو هذه اللغة المريضة ، بل الميتة ، كما يقول بعضهم .

والواقع ان الدعوة الى محاربة اللغة العربية بدأت منذ قرون عديدة ، وظهرت في اشكال متعددة مختلفة ، ومنذ تقدم الحضارة الغربية ، ومحاربة اللغة العربية تأخذ ألوانا مختلفة ، والحضارة الغربية قامت في أوروبا ، وانحصرت فيها ، وقد استفادت كثيرا من الحضارة العربية ، بل وأخذت الكثير من مقوماتها من التراث العربي العظيم ، وما زالت تحتفظ بالكثير من هذا التراث العربي ، من مخطوطات علمية وفكرية ، مختلفة العلوم والآداب والفنون .

والغريب أن الاصوات التي ترتفع منادية بهدم اللغة العربية ، ترتفع من أبناء هذه الآمة ، وكانت قد بدأت في الإرتفاع من الغرب وبشكل على ذكي ، ألحى الى بعض أبناء هذه الآمة ، المثائرين بالحضارة الغربية ، إلى رفع معول الهدم ، والمناذرة بتقويض اللغة العربية من جذورها ، ولا شك أن محاربة اللغة العربية بواسطة أبنائها ، أكثر وقعا ، وأشد إبلا ، من محاربتها بواسطة ناس لا يمتون الى العرب بصلة ، ولهذا نرى هذه الأيام مثل هذه الاصوات ترتفع وتشتد منادية بإلغاء اللغة العربية وفي قطر عربي ، هو لبنان ، ولبنان كان له دور وای دور في رفع علم اللغة العربية عاليا ، وكما قدم رجاله من خدات جيلة عظيمة للغة العربية ولآدابها وعلومها وفنونها ، ثم نرى اليوم نفرا يحل مسائل التشكيك والهدم ، والمناذرة بإلغاء اللغة العربية والدعوة الى تبني الحرف اللاتيني ، واللهجة الدارجة المحلية .

لو كانت هذه الدعوة قادمة من الغرب لما عجبنا لها ، لان للغرب أغراضا سياسية بعيدة المدى ، والغرب كما هو معلوم ومفهوم يعيش على أسواق الشرق ، من إفريقيا الى آسيا ، وهي أسواق كبيرة . تستهلك الكثير الكثير من منتجاته ، والحاجز الطبيعي والجغرافي بين الغرب ، وإفريقيا وآسيا ، إنما هو البلاد العربية التي تمتد من المحيط الاطلسي ، وتدور لتمر على

كل الساحل الإفريقي وتتمدها حتى تصل الى حدود تركيا ، وهو حاجز مانع قوي اذا ما تم تلاحمه ، وسد الثغرات فيه ، وإذا ما تم أيضا ترابطه الطبيعي والجغرافي ، والغرب كلها مدّ بصره الى هذا الحاجز المانع ، هاله الأمر ، وقصّ مضجعه ، فراح يعمل وبكل ما يملك من طاقة ، لزعة هذا الحاجز ، وتفكيكه من الخارج ومن الداخل أيضا ، وعلى مختلف المستويات فنجح نجاحا عظيما بقدرته الفائقة ، وبذكائه المفرط ، وقوته الخارقة ، لكنه لم يتف بذاك ، وقد نبيه إلى أن ذلك غير كافٍ ، عندها رأى موجات التحرر تسود أنحاء العالم ، وبعمدا رأى الصيحات القوية المنبعثة من هذا الحاجز نفسه تدوي وتدعو الى القيام فوراً بسد الثغرات ، وإصلاح ما غسد من الحاجز الطبيعي ، وتقويمه ودعمه وربطه ربطا قويا بجسمه الصلب المتحد على شواطئ البحر الآخر ، والبحر العربي ، ثم الخليج العربي أخيرا . وقد انبعت الصيحات القوية المدوية بعدما شعرت بالخطر الداهم ، وأحسّت به سرطانا يقوى وينمو ويستشري بجسم الآمة العربية ، وصحت من غفوتها وأدركت ان تلك المخططات الوهمية التي كانت تصطبها ضربا من الخيال والوهم ، أصبحت تتحقق شيئا فشيئا ، وتدوي وتنبه لتقويض الحاجز الطبيعي ، وتفككه فكا ، وتسطره سطرا ، ثم تاكله كما ياكل الصدا الجديد . صحت وأرادت صحتها تبني الفاتحين المبكرين وتوقظهم من سباتهم العميق ، وفي هذا التحرك والصحو ووشك النهوض ، إذا بالدول الغربية المخططة ، ومن ورائها الصهيونية المالية المدبرة لهذا التخطيط تفتق على حقيقة واقعة كانت تعمل لها ، لكن ببطء . تعمل لها أقل مما كانت تعمل لزعة الحاجز الطبيعي وفكّه ، وسطّره ، تلك هي حقيقة الجذور ، أو الأساس الذي يقوم عليه الحاجز ، ومن ورائه الجسم الصلب القوي المتين ، ونهت وأدركت ان الجذور والأسس يجب ان يحسب لها الحساب الأكبر ، وإلا كان تحطيم الحاجز وزعزعة وسطّره أمرا مؤقتا ، لا سيما في هذا العصر الذي حطم المسافات وقوّضها ، وقرب العالم بعضها من بعض ، فراحت العقول المفكرة ، والآراء المدبرة تعمل عملا في قلقة الاسس ، وزحزحة الجذور من أماكنها . ان نجحت ضمنت بقاء مستمرا ما بقيت الجذور مزحزحة ، والأسس قلقة ، ولهذا عندما حلت التمسكة بالآمة العربية يوم الخامس المشنوم من شهر حزيران غام ١٩٦٧ ، قامت أصوات تندد بالغرب ، وتهزأ بنقائدهم ، وتهكم على لغتهم ، ونوحى بأن سبب هزيمتهم إنما هو هذه اللغة الميتة ، التي يترنمون بها ويسكرون بشعرها ويلافتها بعد ان حرم عليهم نبينهم محمد شرب الخمر ، فابتعنوا عن شرب الخمر كما أمرهم

نبيهم ، وراحوا يسكرون بلقمتهم وبشعرهم وبللغتهم ، التي سببت لهم هذه الهزيمة أمام اليهود الغربيين المتطورين ، وهكذا راحت الأبواق تطلق أصواتها المتكرة مشككة في لغتنا وتراثنا وتاريخنا ، وراح نفر من أبناء هذه الأمة يعزف نفس الأنغام ، ويدعو أبناء امته إلى تشكيكهم في لغتهم ، وتراثهم ، وحضارتهم ، ولا شك أن نجاح هذه الدعوة يؤثر تأثيرا عظيما على هذه الأمة العربية ، ويفصلها عن جذورها وتاريخها العظيم ، وتراثها الزاخر بالفكر والعلم . ولم يكفر الفكر الصهيوني والغربي بذلك ، بل راح يعمل على جيع المستويات بعد هذه الهزيمة التي منيها بها ، فأخذ خطا يدعو إلى التشكيك في اللغة والتراث ويهدمها ، وخطا يدعو إلى دفع أبناء الأمة العربية المتأثرين بالحضارة الغربية إلى السير في طريق المين الهأزى ، بإتلاف العلياء والخلق البسيط ، وخطا يدعو إلى اغتياق اليسار الطفولي المشوش ، وكلا الخططين البيني واليساري يسيران إلى نتيجة واحدة ، وإن كان الطريقتان مختلفتين ، كلاهما يشك في الأمة ، ويهزأ بوحدةها ، ويعزف عن مثلها ، ويعيث باصولها ، ويعيث بجذورها غسداً . فهذا يعني عبد لصرعات الغرب التي لا تقوم على فلسفة ومبدأ ، وذلك يساري يدعو إلى العدالة الزائفة ، وباتكل طعاه بملاعق الذهب والفضة . والكل عبيد لفلسفات أتى بها الغرب ومن ورائه الصهيونية العالمية ، لهذا الحاجز ، وفك الطوق ، وزعزعة الأمة من جذورها .

إن هذه الأصوات التي ترتفع اليوم في بعض أنحاء من الوطن العربي ، ومن لبنان بالذات ، ونادى باستبدال اللغة العربية ، باللغة المحلية كما يقولون ، واستبدال الحروف اللاتينية لهذه اللهجة المحلية ، إنما يدعو إلى تقويض أسس الأمة العربية ، وتشكيك أوصالها ، ويعتريها أشلاء مينة ، فهل تراهم حقاً مقتنعون بهذه الدعوة التي يدعو إليها ؟ وهل تراهم جادون في إلقاء الحرف العربي ، وإبداله بالحرف اللاتيني وإقامة اللهجة اللبنانية المحكية كما يقولون مقام اللغة العربية ، وهل هذه اللهجة المحكية تواكب تقدم العلم ، وتسائر العصر أكثر من اللغة العربية ، وهل اللغة العربية أصبحت لغة مينة لا تقدر على تحمل ما يأتي به العلم من مبتكرات ، ومن مخترعات كثيرة متعددة ؟ وهل اللهجة اللبنانية بحروفها اللاتينية أقدر على مسايرة العصر والاختراعات والمعلوم من اللغة العربية ؟ ثم هل تبقى هذه اللهجة اللبنانية خاصة باللبنانيين وحدهم ، بل بفئة منهم ، أم أنها ستكون لغة العرب جميعاً ؟ أم أن العرب هم اللبنانيون وليس غيرهم ؟ أم أن هذه الدعوة تقصد للهجة المحكية اللهجة في كل بلد عربي ، أي أن يقوم كل بلد عربي ويحذو حذو لبنان ، فنقوم في كل بلد

عربي لغة جديدة منبثة من لهجته المحلية المحكية ؟ إنه لأمر غريب حقاً أن تقوم دعوة كهذه الدعوة ومن بلد كلبسان .

إن العجيب حقاً أن يقل هؤلاء الداعون ، الدعوة المضادة التي تقوم اليوم على مقربة منهم ، تقوم في فلسطين المحتلة ، بل ويقوم بها الإسرائيليون القادمون من الغرب ، إنهم يقومون بالدعوة إلى إحياء لغتهم العبرية المحتلة المينة ، يستخرجونها من مناحف التاريخ ، ليبعثوا فيها الحياة ، وليجعلوها تواكب العصر وتسائر العلم ، وتستوعب المخترعات الحديثة ، ويقومون بالدعوة إلى إحياء تراثهم الميت ، وينشئون انقراض التاريخ ليستخرجوا بعض انقاضه المبعثرة التي أكل الدهر عليها وشرب ، ويعملون على بناء هيكلهم الذي دفننه القرون وغفاه الزمن ، ويعملون على جعل الوهم حقيقة ، ويخلقون من الوهم والخيال أشياء ثابتة ، ويقومون دولة أو مملكة ، لم يكن لها وجود في التاريخ ؟

فأين الداعون إلى هدم اللغة العربية ، والتشكيك في التراث العربي الحي الزاخر بالفكر ، من هؤلاء الذين يبحثون عن انقراض لغة قديمة في زوايا السنين ، ويفنشون عن معتقدات غفاه الزمان ، ويعملون على بناء هيكل قوصته القرون ؟

إننا نرى اليوم دعوات هدامة ، متعددة تتناول على اللغة ، وتهدي على التراث ، وتتكرر للتاريخ ، ونرى معتقدات مختلفة متضاربة ، وكلها نصب على مقومات هذه الأمة ، وعلى مثلها ، وعلى تاريخها وتراثها ، وكلها هزت الأمة العربية بفترة ركود تعالت هذه الأصوات الفاشزة ، وكلها مرّت بفترة انقضت هذه الأصوات ، لتختفي للظهور مرة أخرى وفي الوقت المناسب .

إن الداعين إلى التشكيك في لغتنا العربية ، إنما يدعوون إلى التشكيك في أمنا وحضارتنا وتراثنا وتاريخنا ، وهي مقومات راسخة في التاريخ ، ولا شك أن اللغة العربية من أهم الأسباب التي تربط حاضر الأمة بتاريخها ، وتاريخ الأمة الحافل بالمثل والاختلاق من أهم مقوماتها ، والأمة التي لها مثل عليا وخلق عظيم لا يمكنها أن تموت ، وسنظل لغتها حية تربطها بماضيها المجيد ، وتدفعها إلى مستقبل زاهر عظيم .

عبد الرزاق الزهراني



خواطر من هنا وهناك

بقلم



أحمد السفّاف

المهرجانات فلم اطلع على شيء حول المغرب ، واتحاد ادباء المغرب مرتبط بالاتحاد العام للادباء العرب ، ومن حقهم ان يتلفقوا نحو زملائهم ادباء الشرق ، فالصمت في ساعات الحن كربة كالثرثرة في اوقات العمل والجهد. ان من يرغب في ان يطلع على ما كتبت عن المغرب فليرجع الى مجلة البيان وسيجد سلسلة عن المغرب بعنوان « المغرب مزيان مزيان » وسيعرف اني قد قلت ان المغرب يغلي كالرجل ، ومن الظلم ان يحكم ذلك القطر بذلك الاسلوب المتخلف ، وقتل فيما قلت ان الملك الذي لا تعوزه اللعنة ولا ينتقمه الذكاء عليه ان يعلم ان نظرية الحق الالهي في الملك قد ذهبت الى غير رجعة ، وان كساح الشعوب في هذا العصر لترفض رفضا قاطعا تلك النظرية السخيفة ، وكل حكم لا يستند على قواعد ثابتة من العدل محكوم عليه بالزوال . وكتبت في مواضيع كثيرة عن اللغة العربية ، وموقف السلطة المغربية منها ، وعن الاغراب المغربية ومواقفها من الحكم المطلق ، وناشحت الملك الذكي ان يعي روح العصر ، فهو يحكم بلدا تكاد تكون ملتصقة بأوروبا ، وليس من المنطقي في شيء ان تعيش البلاد دون

حين عدت من المغرب في العام المنصرم كتبت خواطري المغربية تباعا في هذه المجلة ، وجاءتني كتب كثيرة تستحسن ما كتبت ، واقترح بعض الفضلاء جميع تلك السلسلة في كتاب ، وكان في مقدمة هؤلاء رئيس تحرير هذه المجلة ، ولم يكف بإبداء هذا الاقتراح ، واناب اليه في حين عادي في القاهرة في الربيع وفيه اسدق الله من ادباء مصر في جميع تلك السلسلة ونشرها بالعنوان الذي اخترته لها . في البيان ، ولقد هيمت بتنفيذ الاقتراح غير اني شغلت بأهم ذات بال حالت دون التنفيذ . وبعد ايام انفجر الوضع في المغرب وعدت لما كتبت عن ذلك القطر الجميل الساحر ، فوجدت اني قد اديت رسالة الكلية الحرة الشريفة ، ونصحت صادقا مخلصا ، واذكر اني استلمت رسائل كثيرة من المغرب تنني على ما كتبت وتطلب في الوقت نفسه مني المزيد ، غير اني كعادتي اوتر الاجاز مؤمنا بان من لم يتعمق بأسطر تنويع بنور الصراحة والمصدق فلن يتعمق بشيء منها طال التصح وكثر التنبيه .

وبعد انفجار الوضع في المغرب تلت نحو ادباء المؤتمرات وشعراء

مع المغرب الزباني والاصطدام المنفجع في السودان

الأمة العربية تعاني من جمل اليمين الشرس وحماته اليسار الأهوج

الأدباء والشعراء هبوا من السد عليهم ان يثقبوا اليه شاكرين

بالقوميين العرب ابشع تنكيل ، ونجح المخطط وسقط الحزب الشيوعي في العراق . ولقد كتبت اعتقد ان الاحزاب الشيوعية قد اتعظت بما حدث في العراق ولكن احداث السودان جعلتني في حيرة من الامر . ولكم وددت لو ان المنصرين في السودان قد تجنبوا البطش الرهيب . انهم قد جملوا من الشيوعيين ابطالا وشهداء ، وسبقوا عليهم عطفا في كل مكان . لقد كان يكفي ان يصور المسئولون في السودان الضحايا البريئة ممن قتلوا غدرا وهم في الاسر وينشروا تلك الصور على الناس ، ثم يساق المذبذبون الى المحاكم مع الاحتفاظ بضبط النفس والحفاظ على وسائل الشعب الطيب المسالم . ان الافكار لا يمكن القضاء عليها بالعنف ! ان الافكار لا تحارب الا بالافكار .

— عاليه —

احمد السقايف



الشعراء والادباء . مهما كان نفوذه وماله وسلطانه . واذا علم الشعراء والادباء هذا — ولن يعلم هذا الا القليلون منهم — فان من الواجب ان يتقربوا الى الله بالقول الحق والموقف الكريم النبيل . وكما سكنت اقلام الادباء في محنة العرب سكنت في محنة السودان . واذا كان الوضع قد اتفجر في المغرب متأخرا فانه قد اتفجر في السودان مبكرا — الماصطدام بالقومية العربية ليس هذا هو الالهة التي الامة العربية تخوض اخطر معركة تعرضت لها في وجودها ، انها هجمة شرسة حاكمة لثيمة ، مدعمة بالمال والصف المعنصرى ، ومزودة بجميع اسلحة العصر الحديث ، وفي مقدمة هذه الاسلحة العلم والاعلام الحديث المؤثر ، والعرب كل العرب مدعوون لصد هذه الهجمة الصهيونية الحادثة دون تمييز بين قومي وباركسي او بين اشتراكي ورأسمالي . فحين فطحت الشيوعية في العراق النار على القومية العربية في مطلع عام ١٩٥٩ ادرك الواوون ان الحزب الشيوعي العراقي قد وقع في مخطط استعماري صهيوني يتوخى خربه وضرب القومية العربية في آن واحد ، وسحل الصهيونيون احرار العراق وتكلموا

دستور ودون مجلس نيابي حر نزيه . ولا شك ان تلك النصيحة قد اطلعت عليها المسئولون في المغرب فاليان ترسل لاتحاد كتاب المغرب وهم ينشرون في صحفهم ما ينشر عنهم في صحف المشرق . ولا شك ايضا ان المسئولين لم تعجبهم تلك التصانيع شأنهم شأن غيرهم ممن لا يحبون ان يسمعوهم تجريحا لباطل ، او نقدا لظلم ما داموا قد الفوا نفاق المقرئين ، ودجل المشعوذين ، اولئك الذين يزيون الظلم ويخترعون الف مسموغ ومسموغ للباطل . والحقيقة اني لم ارض نفسي في يوم من الايام ان اكون اديبا بلا رسالة ، واذا لم يكن هناك نفع للناس من كلمة اديب مخلص او قصيدة شاعر مؤمن فان الجبازين والحلاطين والكناسين يصيحون اكثر نفعا للناس من الادباء والشعراء . ونحن نعلم ان الآلاف من الناس يستطيعون ان يصبحوا قلائسين وكناسين وخبازين في يوم او يومين ويستطيع غيرهم ان يصبحوا موظفين كبارا ووزراء يشار اليهم بالبنان يبرسمون بصدرة حاكم من الحكام ، اما الشاعر الموهوب والاديب الحلق المبدع فانها من هبات الخالق جل شئته ، فليس في مقدور اي حاكم ان يخلق



سليمان الشطي

بقلم

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

لورنس

الشخص

والشخصية

الشخص :-

لورنس .. هذا الاسم المنسوب للعرب ، ظهر فجأة في ظروف اختلطت فيها الامور وتشابكت بارزة في مظاهر معتدة ..

واختفى بعد ذلك ليكون تاريخا يدار حوله الجدل ، وحكاية نلهم ذوي الذاكرة المتخيلة الكثير ..

قالوا عنه : مغامر .. بطل .. انسان ذو ضمير حي .. صانع تاريخ ..

وقالوا ايضا : جاسوس .. عميل .. ثاقل .. مخادع .. قاس .. الخ ..

هذا ما نسمعه عن لورنس ، وهو نفسه ايضا الذي لم يقل فيه التاريخ كلمته بعد ، مع انه عاش تحت اشد الاضواء ابهرا في ايام كثر فيها رجال الضوء وازدادت فيها اشارات المجد المعلقة على الصدور .. وفي الجاهل نشتم عن الخيانة والحقد وكل رذائل الحياة .

وتعشق عاداتهم حتى انه كان يعيش معهم في الخيام ،
ويأكل اكلهم ، لابساً ملابسهم ، جالسا كطريقتهم في
الجلوس ، الخ .. الخ .. وهذا ايضا فيه افتراء على
الحقيقة لان لورنس قد كشف عن حبه العظيم ، في كتابه
« اعمدة الحكمة السبعة » حين قال عن العرب ما يلي:
« وهذا الشعب ذو الانقي الضيق في التفكير يمكنه ان
يترك الذهن جانبا وينقاد بصورة عفوية وراء حسب
الاستطلاع . خياله خصب ولكنه ليس خلافا .. (٢) »
هذا بعض من كثير والسذبي يتحصى كتابه يجد بين
السلور كل حقيقة لورنس التكليز !!
وبعيدا عن شخص الواقع حيث الاصدااء التي
نقلته ليكون محل تسليط الاهتمام ، نجده انتقل الى مجال
الفن لتكون بعد ذلك الشخصية ..

الشخصية :-

بادي ذي بدء رسمت في خيال معاصريه ، الذين
استيقظوا على صوت لورنس مدويا رسا لهم بقطة
ضمره وبخيط ذاته بطار من الاهتمام ، وهم بعد
مشقاتون لحياة الخيال الذي داعب احلامهم قبل الحرب
حيث كانت الصحراء والهروب سبتان من سيات الفكر
والادب .. انهم لا يزالون يبايون بحياة كنتلك التي
رسمتها لهم رومسية القرن الخامس عشر .. صورها
لورنس واحاطها في اطار خاص ضمن كتابه اعمدة
الحكمة السبعة .. اما في الاطار العام فكان شخص
لورنس الحي بينهم ، حين حاول ان يهرب من ماشيه،
ويعيش في اذن من عذاب الضمير ..

نلتقي اول ما نلتقي بصورة اولى رسمت في
الاذهان حيث الحركة الاولى للفن
وفي مجال الفن المعبّر ذكر القراء بالفلم السذي
سمعا عنه الكثير .. لورنس العرب ..

وفي الفن الدرامي كان لها نصيب ، فهي محور
مسرحية تاريخية ، ونعني بها مسرحيتنا هذه التي
نتحدث عنها : روس او لورنس العرب .. ترجمها وقدم
لها محمد كامل كمال ، وجاءت ضمن سلسلة من المسرح
العالمي التي تقدمها لنا وزارة الاعلام ..

سنقول ان الاختيار موفق ، لانا احق الناس
بمعرفة هذه النصوص الفنية التي تتعلق بتاريخنا القديم
او الحديث واللميق بحياتنا الانية ، فهي بجانب كونها
اعمالا فنية نفيذ منها ، فانها تعكس صورة من حياتنا
تأثيرها في نفوسنا اكبر من تلك التي تتناول حيوات
بعيدة عنا حيث يقل التأثير الماطلي في نفوسنا لتقص
الادراك العام والجو المهيمن فيها .. لهذا نقول ان
الاختيار كان موفقا ..

عاش في هذا الجو فكتب عن نفسه صريحا احيانا
الى حد التساؤل ، وبداها يدور قائرا فوق السلور
ليخفي الحقائق او ليثير غبار الشك في النفوس ..
وكما عاش تحت الانواء في مطلع حياته نال
نصيبه من الظل لغضى اخر اياه منزويا ، بعيدا عن
الناس تاركا في زوايا الفضول اسئلة الغموض ..
وكان موته حادثة وحديثا كحياته الاولى ..
هو صديق للعرب .. هكذا قال المغمرون
ببطولات الفكتوريين ، واذاكي هذه الصيحة
اولئك الذين جعلوا منه رجلا مساوي الحياة ، اثنيه
ما يكون باطل الدراما الكلاسيكيين ..
رجل عظيم يمرض الحياة استجابة لضميره البقظ
بعد ان خدع ، خدعه سادة الحرب .. البطل الذي
احب العرب ، وسامه في قيادة ثورتهم الكبرى ..
اقوال .. واقوال تصطف في نسيج البطولة المطرز
بالوهم ..



وقال الآخرون ايضا .. تحدثوا عن التقيض
وانافوا محددين مكان لورنس الحقيقي كجاسوس مقنع،
كان اثره سلبيا على مسيرة الثورة العربية ..
ولعل آخر كتاب وليس الآخر هو كتاب « الحيوانات
السرية للورانس الجزيرة العربية (١) » ..
وقد قام بتحرير هذا الكتاب محرران بهجلة
« الصاندي تايمز » وهما تيليب نايللي وكوليد سيبسون
معتبين على وثائق لورنس المحفوظة التي تؤكد دور
لورنس المخرب في السيطرة على مد الثورة بحيث تسير
وفقا للمصالح البريطانية .. وكان لورنس يعلم كل
العلم ان السياسة البريطانية ، وقد شارك في وضعها،
تتعارض تعارضا مباشرا وكابلا مع مفهوم العرب للحرية
ومع طراز الدولة التي وعدوا بها وحاربوا من اجلها ..
وهو يرى واجبا على بريطانيا ان تعال الثورة العربية
بالاسلوب الصحيح مان الدولة العربية المنفطرة ستبقى
في حالة تخبط سياسي !!

ماذا بقي عن دور لورنس — المشرف جدا —
لتحدث عنه !
حسنا .. لنقرأ هذا التصريح الذي جاء على
لسانه يقول :

« لقد غابرت بالتضليل لايامتي بان عون العرب كان
لازما لاجاز نصر رخيص وسريع في الشرق .. وخير لنا
ان ننصر وان نخلف وعودتنا ان نبني بالهزيمة » .
هذا هو دوره الذي لم يعد خافيا على احد الا
الذين يرون في البطولات الزائفة معينا لاحلام البقظة
عندهم ..

بقي شيء آخر ..
يقولون انه كان محبا للعرب ، هام بهم وببلاهم



جاسوسا وليس قائد ثورة !! .. وحتى مؤلف المسرحية التي اثارت هذا الموضوع (تيرانس رانيجان) كان يدرك هذه الحقيقة فقد اورد على لسانه هذه الحقيقة في اللقاء الذي تم في القاهرة ، لقد تحدث لورنس عن صفات الزعيم المقترح لقيادة العرب بجانب اللبني : قال : **لورنس : -** ... يجب ان يكون رجلا ذا نفوذ وعلى قدر من الآداء بحيث يتسهم بتهدئة اثناء ظسروف المعجز وعدم القدرة والجبن والجشع والخيانة والغدر .. يجب ان يكون على قدر من المعرفة العملية بغتوں الحرب والامام باصول الحرب غير النظامية .. وعليه فوق ذلك كله ان يعرف كيف يجذب ويداجي ويباري وينافق ويخادع - في قضية ليست قضيتي - ولكنه يبدو امام الخلائق انه يعتقد فيها ويؤمن بها .. وعليه ان ينسى انه قد ناهى الى سمعه في حياته شيء ما عن انتفاكية سايكس بيكو .

اللبني : - اية انتفاكية ؟

لورنس : (في نجر) تلك الانتفاكية السرية التي تقضي بتقسيم البلاد العربية بعد الحرب بين فرنسا وبيننا ... ص ١٦٧

لقد كانت صورة الرجل المرسومة هي نفسها شخصية لورنس ، لقد رأى ذاته في مرآة النفس ، فحدد معالم القائد على ضوءها .. وقد قام لورنس بتكيلة التنبؤية ، فغدر لم ينته الا بعد الدخول في دمشق حيث بداية تكليف الحقائق علينا على السنة السذين صاغوها ، لانها كانت معلومة سابقا ، ادركها المناضلون ولكن الخدمة تلك محفورة في الازهان حيث رسمت الاوهام لمسلحت الحقائق وبقي وعد الانكليز السذي وصفه الشريف حسين بأنه كالذهب !!

المسرحية تكشف هذا ايضا ، لنقرأ هذا الحوار : **حامد : -** (بعد توقف) ان قضية ما كان يتسرد صداها بين جنابات معسكرنا في الارزق في الليلة الماضية .. هي ان ملك انكلترا ورئيس فرنسا قد عقدا فيها بينهما اتفاقا بان يقتسما بعد الحرب بلاد العرب .. ان يأخذ الانكليز جميع الاراضي التي تلي الاردن ويأخذ الفرنسيون سوريا وما يليها شمالا . (توقف)

لورنس : (في عدم اكتراث رفيق) انك يا حامد تملك حسنة اذن جميلة تتكلف بها اية حكاية .

حامد : ان رئيس روسيا وهو ثائر جليل شريف لا يحضرني ذكر اسمه ..

لورنس : لبئين .

حامد : اجل .. لبئين .. لقد اعلنا كلمة للعالم اجمع بان اتفاقا كهذا تم منذ عامين انتقسيا وتقبل ان تجيء اليها ..



ونشيد ايضا بالمقدمة الوافية التي رسمت صورة كاملة لاصدات تلك الفترة التي تصورها المسرحية ، ففيها تفاصيل مفيدة للآراء ، فجميع الكتاب الى القية الفنية الفائدة التاريخية ..

لهذا ولغيره نحمد للمشرعين على السلسلة حسن الاختيار وللمترجم بذل الجهد فهذا بعض الحق لهم علينا ..

بقي شيء .. هو ملاحظة على هذه المقدمة لا بأس من عرضها على الغاري بسرعة ليتخذ موقفه الخاص من شخصية لورنس التي لا شك انه ادرك شيئا منها من خلال ما ذكرت سابقا ..

الملاحظة العابرة اوجت الي بان المترجم من الذين يعتقدون ببطولة لورنس ، او لعله على اقل تقدير قدر اثر عليه الجو العام في المسرحية وايحاءات قراسته حول لورنس ، فمال الى القول ببطولة لورنس ومظهره وانسانيته ، ففي ص ١٤ من مقدمته يصف دوره انتفاء الثورة العربية بأنه دور ايجابي اضطلع به لثورة الانتفاضة العربية المعادلة .

ويعود مرة اخرى ص ٢٠ ليفرق بين منطق لورنس وبين منطق العسكرية البريطانية التكتكية فهو - اي لورنس - « انسان يرى ان الثورة التي يقوم بها العرب ليست حريا مشتملة ولكنها ثورة ذاتها طبيعة خاطئة لاتقرار السلام وتحقيق العدالة » .. حقا ان امال العرب الثورية هي كذلك ، ولكن هل كان لورنس يؤمن بهذا ؟! اشك كل الشك ..

اما في ص ٢١ فالمترجم يقع تحت تأثير هريبرت ريد الذي يرى في لورنس « ضريا فريدا من الأبطال ينسافع عن رؤى لا يستطيع ان يحققها ولا يسمعه ان يذرها .. هو بطل مكابر يحمل من فكره اصرا ثقيلا لا يفارقه » .. سأتق هذه العبارات دون ان يعلق عليها بسل انه يؤمن عليها ، ونحس بكلمات الانسياق وراء ازمته المزعومة ، ويتفق ضميره الحي اراء انتفاكية سايكس بيكو ويعتقد ان لورنس رأى فيها انها « انتفاكية قلبت مشروعاته راسا على عقب وجعلت من موافيقه التي واثق العرب سخيرة للثبندرين في الصحف والمنذبات » .. (ص ٢٣) .

هل هذا الكلام يطابق الواقع .. ارى ان العكس هو الصحيح فلورنس لم يكن يجهل هذه الانتفاكية بل انه يعرفها حق المعرفة ، والنصوص السابقة تثبت دوره الواضح في ذلك التخطيط ، فلورنس درب ليكون

القائد :- ... انه امر مستحيل .. ولكن مع رجل انكليزي مثقف يعتقد في قوة ارادته بحسب ، وفي قدره .. حسن .. مثل هذه المعادلات يمكن ان تهتز . لن نطيل الحديث حول هذه النقطة ، فهي بارزة جدا في هذه المسرحية فاعتاد المؤلف عليها كان واضحا سواء في صعود لورنس الى قمة الاضواء او حين سقط فارادته تحركه ابجاليا في المرحلة البارزة وسلبا في المرحلة الاخرى حين عاش في الظل ..



حسبنا ما ذكرنا فالحديث حول لورنس بطول ، ولكنه في تنقله في الاذهان وعلى مسارح الواقع والخيال يبرز لنا شخصه الواقعي وشخصيته الخيالية، كل هذه جعلته حديثا واحده ..

بقيت نقطة اخيرة سألها من بعيد ، واعني بها تلك المرحلة الاخيرة من حياته وانزواته وعذابات ضميره .. الخ . كل هذه لا تخرج من كونها صناعة اعلامية ، او بعبارة اخفحكم صدر على لورنس لانه لم يعد صالحا للقيام باني دور فاحيط بهالة عذاب الضمير لاعادة الثقة بامثاله لان هناك طابورا كبيرا اغدر جلة ما بعد الحرب ، وبعد تكشف الحقائق ، لذلك كان لا بد من ابعاد لورنس ولكن بطريقة تحفظ لامثال هؤلاء الجواسيس شخصيتهم في اذهان الذين عرفوهم، ليكون دور العميل اللاحق اسهل وايسر .

بقي لورنس فعذابه نفسي صحيح ، ولكنه ليس لانه خضع العرب ، بل لانه احس انه اهل في سن بكرة جدا وادرك انه حرق ، فكان عذابه لنفسه ، وثالته لمسيره ، وبقيت الكوثبان : لورنس بطل الصحراء وعذاب لورنس الانسان ..

لم يصدق هاتين الكوثبتين سوى السذج ، ومع الاسف بين العرب اناس من هؤلاء !!



سليمان الشطي

طبعاً ليست المسرحية وثيقة تاريخية كي تأخذ الحقيقة من بين سطورها او من منطوق اشخاصها ، ولكن المؤلف كان واعيا بها ، محركا لجوانبها المختلفة فلم يحاول تجاهلها .. لذلك تراه تبع التاريخ في كثير من خط مسرحيته حتى تلك الفترة المتأخرة حين انزوى لورنس في سلاح الطيران الملكي ، فقد بدا المؤلف من هذه النقطة لينطلق منها الى استعراض تاريخ لورنس من بداية النهاية مذكرا اياتنا بتلك القواعد المسرحية القديمة، محيطا بطله بالجو الكلاسيكي الذي يتحدث عن البطل او الانسان غير العادي ، فكانه اراد ان يشعرنا بان بطل مسرحيته شخص غير عادي ، وان كان حديثا في رسمه العام للشخصية حين صورته بكل بطولته ونواقصه ..

كليا هنا هذه تجربا الى التطرق لشخصية لورنس في هذه المسرحية ، وكيفية رسم المؤلف لها .. لا بأس اذن من ان نيس الشخصية من خلال المفتاح العام الذي ينفذ بنا اليها ..



الواضح ان المؤلف بالرغم من تسكبه بالحوادث العامة لتاريخ لورنس ، هذا التمسك الذي يكاد يكون حرفيا ، الا انه استطاع ان يستخذه ببراعة في ابراز شخصية بطل مسرحيته مركزا الضوء على الجوانب الذي يراه اكثر لمعانا .
والان .. ما الذي يتحكم في شخصية لورنس في الدخايل كبطل مسرحية تاريخية ينلوس في بطلها تأثيره الواضح في تسيير الامور .. بكلمة واحدة نقول انها : الارادة ..

الارادة هي المفتاح لهذه الشخصية ، لا شك في هذا ، فالمؤلف لم يجعلنا نختيط في البحث عن تفسير بل حاول رائسا ان يضع ايامنا تصوره الخاص لهذه الشخصية ، فمي اكثر من موضع نلتقي بهذا التصور ، يقول :-

لورنس :- انه الاله الاوحد الذي اياه اعبد ..
(وينتر على راسه) انه يحيا هنا في هذا المعبد المشوه واسمه الارادة .. ص ١٠٨

ويقول ايضا في موضع اخر :-
لورنس :- لا ينبغي ان يختلط عليك دائما ما اتقول وما افعل .. حسن يا سيدي لقد قلت لك ان ارادتي ليست على ما كانت عليه من قبل .
الثبتي :- اعتقد ان امرها سوف ينصلح .
لورنس :- كلا .. سوف احاول ان التمس عنها بديلا ..

والآخرون يتحدثون ايضا عن ارادته ، لنقرأ هذا الحوار الذي جاء على لسان القائد في حديث طويل :

(١) راجع المقال الذي كتبه احمد البديني عن هذا الكتاب في مجلة

الهلال عدد يوليو ١٩٧٠ ومنه استأثفت بعض الفقرات .

(٢) ص ١٢ من الطبعة العربية .



محمود هفيع كساب

لقاء مع عبد الرحمن الشرقاوي

أجرى الحديث

به عن حقيقة ، وعن الحقيقة المطلقة التي ينشدها ، وهذه الاشكال المختلفة للكتابة ليست أكثر من قوالب تعصب فيها الموضوعات أو الأفكار ، وفي الحق أن الموضوع الذي يشغلي واحاول أن اعبر عنه بخيار دائما صيفته الفنية .. احيانا بشكل قصة أو رواية أو مسرحية أو قصيدة ، و احيانا في لحظات الاندفاع السريع ينخذ شكل القصيدة أو المقالة ، في كل هذه الاشكال احاول التعبير عن كل الحقائق .. حقيقياتي وحقائق الآخرين ، وحقائق القيم التي تبرر ضرورة التعبير الأدبي .

● هل تعتقد أن الفنان يجب أن تكون له ايدولوجية سياسية يناضل من اجلها ، وهل تعتقد أنه يستطيع بايديولوجية أن يقدم فنا بعيدا عما يسمى بالبروباجندا ؟
وخلع نظارته ذات الزجاج الملون بالاخضر الفاتح .. ويدت العينان ذابلتين ولكن الحنان كان يغرق جلستنا .. وابنسم ، واشمل سيجارته الثانية ، كانت الاولى لم تنته بعد وكذلك نجان القهوة المضبوط ، لكنه طلب واحدا اخر ..

— بالطبع الفنان انسان معبر عن حركة التسيارخ في لحظات معينة ، وعن تطلعات واشواق الانسانية

في وجداني ووجدان جيلنا يتف عبد الرحمن الشرقاوي كميلق اسطوري استطاعت حياته الادبية الخالقة أن تكون مصدر الهام ونموذج يحتذى للكاتب المناضل ... عبد الرحمن الشرقاوي الشاعر الذي تاوم كل ما كان يصدر عن الحكم البائد من ظلم واستباحة لكل القيم العقلية التي كان يؤمن بها المناضلون من اجل مجتبع عادل ، وكانت قصائده تكتب وتوزع سرا .. عبد الرحمن الشرقاوي الروائي الذي كتب الارض ناكيدا لشرعية نضال الفلاح المصري قبل الثورة والفسلاح بعد الثورة .. عبد الرحمن الشرقاوي الكاتب الثائر من اجل ارساء قيم جديدة في الادب العربي ، التفتيت به وطيلة المقاومة كانت سنوات نضاله هي التي تتكلم ، انزوى عبد الرحمن الشرقاوي الانسان مفسحا الطريق للكاتب والفنان والمناضل .

ومع سحب الدخان المنبعثة من اللفافات الامريكية ذات الطول غير المعادي بدأت التي اسئلني ..

● انت كاتب مرموق في بلادنا ، كتبت الشعر والرواية والقصة القصيرة والمسرحية الشعرية والمقالات .. اي هذه الفننون تدم عبد الرحمن الشرقاوي على حقيقة ؟

— كل ما يكتبه الانسان أو الكاتب يحاول أن يعبر

قليلة جدا ، والموجود منها لا يؤدي دوره المرتجى منه . نحن جميعا نمسّي من سيادة ما يسوونه بالجزائريزم، وهي محنة ينبغي ان نواجهها ونقاومها معا .. وانا بالمناسبة لانسعر بالفرق بين جيلنا وجيلكم الا في الرؤوس حيث بدأ الشيب يفزو ومقارقتا !

● وانطلاقا من السؤال الثالث .. هل قرأت للشبان ، وما رايت في نتائجهم ، وهل بمستطاعهم خلق عالم جديد في الادب العربي ؟

— نعم قرأت لكثير من الشبان ولكل ما استطعت ان اصل اليه من انتاج الادباء الذين لم ينشروا ، وفي رأيي ان انتاجهم بشكل اضافة حقيقية لادبنا الحديث، وانا اتحدث عن النماذج الجيدة المتبعة من احساس حقيقي وتعبر بصديق في عما يريده الكاتب ، والتي تتحرى الاصاله ، ولا تحاول ان تجري على التقليدي بعض الانسار الادبية التي اتجننها فصحارت مختلفة عنا او ظروف اجتماعية مختلفة عن ظروفنا ، وفي بعض هؤلاء الادباء ما يملأ النفس ثقة بمستقبل ادبنا العربي الحديث !

● لا تزال النكسة ، ورغم مرور سنوات على وقوع العدوان الابريالي والصهيوني على وطننا لا تتروّد في ادبنا ، وباستثناء مسرحية سبع سواتي لسعد الدين وهبة التي كتبت على عجل ، لا تزال بعيدة عن وجداني ادبائنا بالرغم من انهم ، اقمذ الكثير منهم ، كتب العديد من المقالات اذان فيها والمفوضان ، واستنقز الشعب للقتال والسود .. ترى ما السبب ؟!

ونجاة انسحبت الابتسامة الحاتية ، وسيطرت على وجهه سحابة حزن ذات الف معنى ، واشمل سببجانه الخامسة ، وارندى عويناته الملونة .. وكان فنانا الفوة الرابع قد اوشك على الانتهاء .. وقال : — لست معك في هذا .. فانت تعلم انه في الموسم المسرحي الماضي قد قدمت المسرحيات الابنية .. ثورة الزنج لعين بيسيسو ، والتاراولزون لالفريد فرج ، وانت التي قتلت الوحش لعلي سالم ، ووطني عكا لي ، وكلها مسرحيات تستوحى هذه القضية ، وقد قرأت عددا من القصص القصيرة بعضها لم ينح ان ينشر لادباء ممن يعانون مشكلة النشر ، وكلها تستوحى القضية ، والمشكلة هي مشكلة مجال النشر ولو اتبع للادباء ان ينشروا ما يكتبونه لظفر ادباءنا العربي الحديث بنماذج رائدة !

● في احدى مقالات الدكتور لويس عوض قال عنك انك تكتب عن الفلاحين كما تتخيلهم لا كما هم في الواقع .. فبا رايت ؟

كلها ، ومن هنا فهو كائن مرتبط بموقف ، ولا يتساهله بهذا الموقف فهو يعبر عن ايدولوجية ، وهذه الايدولوجية تختلف من فنان لآخر .. احيانا تكون مختلفة ، و احيانا متقدمة .. ولا انصور وجود فنان لا يجالي ، فاللايساله هي نفسها موقف وهي نفسها ايدولوجية ، والفنان يحكم احساسه بالمسئولية امام نفسه وامام الآخرين وامام صديق التعبير يناضل لتحقيق ايدولوجيته .. ان عملية الخلق الفني نفسها هي عملية نضال من اجل التعبير وصدقه ، فالفنان بالضرورة كائن يناضل ومن الطبيعي جدا ان يناضل في سبيل تحقيق الايدولوجية التي يؤمن بها وهذا هو قدره وقومات تكوينه .. والفن شيء اخر غير الدعاية ، فعندما اتحدث عن الفنان الذي يناضل لتحقيق ايدولوجيته فانا اتحدث عن الشخص البسود بوسيلة معينة من وسائل التعبير بكل الصدق الموضوعي في التعبير وهذا شيء اخر غير الدعاية .. ان نقول الفنان ويعبر عن افكار باداة التعبير الفنية لا يمكن ان يعني انه قد اصبح داعية ، فللدعاية وسائلها واسلوبها .. اما الفن فهو تتشكل اخر وقوام اخر اساسه الابداع ولا يتصور ان يدخل الوليد الذي يبدعه الفنان من الفكر لانه خليط من الفكر والوجدان !

● في الخمسينات وجهت رسالة الى الدكتور طه حسين فرفض وسألته في فرضي وصانته على ما كان يشر به جيلكم ، وتذاع عن حكم في التجديد .. انتم سمعتم في ان جيلكم الان يمارس ما كان يمارسه طه حسين عليكم وخاصة بالنسبة للجيل الجديد من الادباء ؟!

واتسعت عيانه ، وارتسخت بسمة حاتية على الوجه المستدير ، وجرى شريط الذكريات .. كانت رسالته الشهيرة الى عبيد الادب العربي قد جرى نشرها في مجلة الغد التي كان يتجمع تحت لوائها كل الذين يتصدرون منابع الكلية الان في مصر .. وكانت صراخهم على صفحات هذه المجلة تؤكد طوبوهم وامياتهم بانهم لا بد وان يتودوا الادب المصري .. كانت الرسالة صرخة احتجاج على عبيد الادب العربي .. واجاب ..

— انا لست معك في هذا .. وانا اري بالعكس ان جيلنا في جيلته يسخر كل تجاربه لمساعدة وفتح الطريق امام الجيل الجديد ، وانا ارجو ان تعطيني مثلا واحدا لهذا الذي تسميه وصاية على الجيل الجديد .. ان الجيل الجديد مما يعاني منه بعض افراد جيلنا وهو ضيق فرص النشر ، انا نفسي اعاني من ضيق فرص النشر ، ولا اجد صحيفة يومية انشر فيها او مجالا ادبيا يمارس فيه عملي ، فنحن في المجنة سواء . وسبب ذلك ان الصحافة تهتم الان بالاخبار والموضوعات الصحفية اكثر مما تهتم بالادب ، والمجلات المتخصصة



— أنا اعتقد ان هناك أزمة نقد حقيقية ، واعتقد ان سببها الاساسي عزوف كثير من اساتذة النقد المتخصصين عن كتابة النقد ، واعتقد وارجو ان تنجح لك الفرصة لتسائل كل واحد منهم على حدة ان بعضهم لا يجد مجالاً للكتابة ، والبعض الآخر ضاق بما يقرأ في الصحف من نقد ساذج سطحي يكتبه غير متخصصين، وتستخدم أحياناً لأهداف شخصية ، وينبثق أحياناً عن علاقات شخصية ، ان هناك أزمة ثقة بين الكاتب الناقد جعلت الكثير من النقاد يؤثرون العافية .. فمما لا شك فيه ان بعض كتابنا يضيقون بالنقد ، ويتحول النقد من عملية موضوعية علمية الى عملية تزييق للعلاقات القائمة على المودة والحب ، ومسؤول عن هذا بالطبع ما يفسر صحفنا من كتابات غير المسؤولين ، والأساليب الجارحة التي يتناول بها البعض الأعمال الأدبية الجادة ، وبعض النقاد الجادين لا يجوبون ان تتساوى كتاباتهم مع مثل هذه الكتابات غير المسؤولة ، أضف الى ذلك ان المساحة التي يمكن ان تعطها بعض الصحف لناقد جاد لا يمكن ان تسمح له بأن يكتب بالجدية التي يريدها ، وأنا اعرف ان رجاء النقاش موجود ، ويهارس النقد ، ولكن الآخرين الذين ذكرتهم وغيرهم من الاساتذة لا يجدون الفرصة الملائمة للنشر .

● هناك في حياتنا الأدبية قضية عادلة ثلاثي العنت والإضطهاد نتيجة عدم حضورها في سير الحركة الأدبية في بلادنا ، هذه القضية هي قضية ادباء الاقاليم ما رايسك ؟ وهل تعتقد ان المشكلة مشكلة نشر أم حاجة الى التقريب كما يرى البعض من يتعرضون لنتائج هؤلاء الادباء ؟

— في رأيي ان مشكلة ادباء الاقاليم كمشكلة الادباء الشبان في القاهرة .. هي اولا مشكلة نشر ، اما الحديث عن الحاجة الى مزيد من التقريب فلا يمكن ان تخص ادباء الاقاليم وحدهم ، فكل الادباء الشبان وغير الشبان في حاجة الى مزيد من التقريب ، وعندما نتحدث عن الادباء فنحن نتحدث عن الكاتب الذي توفرت له مقومات التعبير الفني واستحق ان يكون ادبياً واجتاز مراحل المحاولة ، واصبح ادبه جديراً بالنشر ، وهؤلاء كما قلت تلخص مشكلتهم في عدم وجود المبرر الصالح لنشر انتاجهم ، وحين توفر لبعض ادباء الاقاليم مجال صالح للنشر مثل مجلة « سنابل » اثبت هؤلاء الادباء انهم يقدمون انتاجاً ادبياً جديراً بالاحترام والتقدير ، والمشكلة عندنا بالقياس الى الادباء والنقاد الشباب منهم ، والذين لم يعودوا شباباً بحكم السن .. الذين يعيشون في القاهرة او في الاقاليم هي مشكلة نشر ونشر فحسب !

— الدكتور لويس عوض رجل ناقد له رايه ، وقد تعودت ان احترم الراي المخالف ، ولكن الفلاحين الذين اكتب عنهم هم اهلي ، فانا غلام من التوفيقية مركز شبين الكوم ، وأنا على صلة دائمة بقريتي ، ووالدي يعيش في القرية واهلي كلهم يعيشون في القرية ، الموتى والاحياء ، وأنا اكتب عن اعراسهم وعما اعرسه في حقولنا وفي قرانا ، واعتقد ان الدكتور لويس لم يعرف الفلاحين كما ينبغي وربما لم يعرفهم على الاطلاق ولن يعرفهم ، وهو مغرور طبعاً بحكم عمله ، فقلعه لم تنسح له ان يعايش الفلاحين لانه يعيش في المدينة على الدوام ، وأنا مستعد على أية حال لاستضافته في قرتي اية مدة يساؤها شهوراً او اعواماً ليتعرف على الفلاحين الذين اكتب عنهم !

● في روايتك الارض صورت الفلاح المصري عام ١٩٣٠ يناضل ويرفع السلاح ضد طائفة بالرغم من ان السلطة في القاهرة كانت رجعية وضده ، وفي عام ١٩٦٥ كتبت روايتك الفلاح يشكو ولا يناضل بالرغم من ان السلطة في القاهرة ثورية ومع الفلاح ! — في عام ١٩٣٠ كان اعداء الفلاح واضحين ومن ثم كان الفلاح يناضل ضدهم ويرفع السلاح للحصول على حقه .. اما في سنة ١٩٦٥ فقد شكا الى السلطة الثورية في القاهرة لان الاعداء والاضداد كانوا يرتفعون نفس الشعارات واصبح صعباً على الفلاح ان يضرب خوفاً من ان تصيب الضربة صديق !

● يدويونك من اب يدويونك الى اب يدويونك الابريكي وضحت كشاعر بيلك ادوات قادرة .. لماذا لم تستمر .. في رأيي ان حركة الشعر العربي الحديث خسرتك ؟!

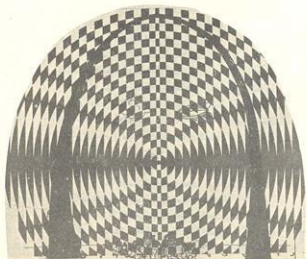
— انا لم انقطع عن كتابة الشعر ، فبعد هذا الديوان كتبت قصائد كثيرة نشر بعضها ، وبعضها لم استطع نشره ، وارجو ان انتخب من نشر ديواني كاملاً في يوم قريب .. كما ان التعبير الشعري اتخذ عندي شكلاً اخر وهو المسرحية الشعرية واعتقد ان المسرحية الشعرية دوراً لا يقل عن القصائد الشعرية فشكلنا لك على تصورك ان الشعر خسرتي ، ولكني في الواقع اتابع كتابته ، وكما قلت غلب علي في الفترة الاخيرة انشاذ المسرحية الشعرية شكلاً للتعبير الشعري وكتابة الشعر !

● يثار الآن على صفحات الجرائد قضية انتقار النقد في بلادنا .. ما رايك .. وما اسباب غياب النقاد الجادين مثل محمود ابن المالم ومبدل القادر القادر ورشاد رشدي وشكري عياد ورجاء النقاش ؟!

شعر عبد الصاحب الموصلي

كرهتُ قصائدَ الأحزان
يا ليلي .. وكان زمان
نزفتُ به على الأوراقِ أحقادَ العبودية
صلبتُ الجيل بعد الجيل
حتى غابت العينان
وراء مشائقي .. وانداحت الجدران
تنشق مفاوز الصحراء لا تلوي ولا تنقُ
قوافل من عجاف النوق ترتجفُ
وأهلي فوقها مروا .. وما نزلوا
وقل يديني حيران
كيف ينطرح .. ولا جذران
كرهتُ قصائدَ الأحزان
يا ليلي .. نسيت الإهمل
وجئتُ اليك في بيروت أنسفجُ
دمًا ما أورت في قاعه أغصان
دمًا كالجر .. لكن ماله شيطان
يبوت بقاعه حتى انعكس الظل
ولو أني أحب قصائدَ الأحزان
لأورق في دمي .. في الملح ظلُّ القتل
ظلُّ نهزق الإنسان
ولكني نذتُ الحقد في صمت على الأوراق
صلبتُ الجيل بعد الجيل
حتى غابت العينان
ومات الشكل .

ومات الشكل



الحب العذري لدى

العبيد بن الأحرار حنف

حبك ان تعلم ان العباس بن الاحنف ارتفع
بالحب درجة سمحت له ان يقول :

وما الناس الا العاشقون ذوو الهوى

ولا خير فيمن لا يحب ويعشق ...!
وعفاة وسود في هذا الحب يدفعه الى ان يرى
فيه حبيبته التي يتحرب بها الى الله :

اسئلكم الله الا من مودتكم

قالها حسنتي حين القاء ...
وهو بعد ذلك يرى انه رافع « راية العشاق »
وبرى ان هواء هذا قد فاق هوى من قبله من العشاق
وانه سيبقى على الزمن حديث الاجيال :

فقد عجب الناس من امرنا

وانساهم قصص الاولينا
وصرنا حديثا لمن بعدنا

تحدث عنا القرون القرونا
وهو يرسم لنا من حبه هذا صورة للثالية العليا
التي تكاد لروعتها تحسب من وثبات الخيال . فصاحبة
الشاعر صورة مجسدة للذات الكاملة التي يقمر عنها
الموسف :

يا ايها السائل عن وصفها

لقد وصفنا لو بلغناها

انك لو ابصرتها مرة

اجللتها ان تتبناها ...!

لم ندر ما الدنيا وما طيها

وحسنتها حتى رايناها ...!

بقلم

الدكتورة

عائكة الخزرجي



أما هو في ذاتيه بصورة رائعة للتفاني
وتكرار الذات صورة قاربت الموقية أو تكاد ..

أحمر منكم بما أقول وقد

نزال به العاشقون من عشقوا

صرت كاتي ذبالة نصبت

نضوي للعاس وهي تحترق

ولعمري كيف لا يكون منعموا في الحب من يقول؟

أقبلوا ودي فقد أهديته

ثم كاتفوني بصدف فهو ود

هذه نفسي لكم موهوبة

خير ما يوهب ما لا يسترد

والعباس لا يرى في هذا الهوى إلا طريقه إلى

الشهادة :

فلئن هلكت لتصبح أئمة

ولازفن شهادة المشهد

وقد لا يرى في دونه في الحب بدعة لأنه ليس أول

تقبل فيه :

دعيني أبت لم أت في الحب بدعة

ولم اك فيما لمني فيه أوحدا

بل أنه يرى أن القانون الطبيعي للحب إنما هو

الموت فيه :

وأول هذا الحب حزن ملازم

وهم بطير النوم والموت آخره

وعندي أن العباس مخلص من الإخلاص في رسم

هذه الصورة الفريدة للحب الملائكي وليس أكاشفة

الحقيقة من أنني مؤمنة كل الإيمان بأن الشاعر إنما

كان يملئ علينا من تجربة حقيقية

ولعل أروع لوحة عرض لنا العباس فيها حكاية

هواه المعذب تلك التي يحلو له أن يعرضها علينا

بين الحين والحين لنراه فيها الطمان التريب من التبع

المحروم من الورد ...

ومختلس بالطرف ما لا يناله

قريبا بحال النازح المتباعد

وفي نظر الصادي إلى الماء حسرة

إذا كان ممنوعا سبيل المارد !

والهوى عند العباس قدر لا سبيل إلى رده ، ولعل

خير ما يمثل لنا رايه هذا بيتا السائران :

الحب ، أول ما يكون ، لاجبة

تأتي به وتسوقه الإقدار

حتى إذا أقدم الفتي لحج الهوى

جاءت أمور لا تطاق كبار

إلا أن لهذا القدر أسبابه - والشاعر يحار في

تحديد هذه الأسباب كثيرا ما نراه يرجئها إلى النظر :

عيناي شامت دمي والشؤم في النظر

وأخرى إلى انجذاب القلب للقلب :

قلبي وقلبك بدعة خلقا

يتجاذبان بصادق الحب

إلا أنه أبدا في حيرة بين عينه وقلبه لا يدري من

يلوم منها :

إذا لمت عيني اللتين أضرا

بجسمي فيكم قالنا لي لم القلب

فان لمت قلبي قال عيناك حاجنا

عليك الذي نلقى ولي تجعل الذنبا؟

وقالت له العنبران أنت عشقنا

فقال نعم ! أورتيماني بها عجا

فقال له العنبران فاكفف عن التي

من البخل ما تسقيك من ربقها عجا

فقال فؤادي عنك لو ترك التطا

لنام وما بات القطا يفرق السها

والعباس يتوج من الحب ملكا رعاياه المنسود

المحبين :

سبحان من جعل الهوى

ملكاً لأممودة العباد

.....

وبع هذا الهوى لقد ملك الناس وصارت له عليهم بنود

والعباس من بعد لا يرى مسببة في أن يخضع

لللهوى خضوع العبد للسيد والمملوك للمالك إنما يرى

في هذا بخره وعزا كثيرا ما نسهمه يردد من مثل هذا :

فان كنت لا تشعرون ما العشق فانظري

إلى هوان العشق صبرني عبدا !

أو يقول

يا قليل النساء أنت مثلي

ظالم ليس يرحم الملوكا

والإن .. ما قيمة هذا الشعر الذي كتبه العباس

في الحب ، وأخرج منه ديوانا كاملا ليس فيه سواء وكان

حديث الخاصة والعامة من قديم ؟

ما علة اشتغال العباس وأتباع الناس على

شعره في زمانه على الرغم من أنه لم يسخره لرغبة ولا

لهيبة على غير ما جرت عليه عادة أمثاله في زمانه ؟

أجاء لنا في هذا الشعر ما يميزه عن سواء فكان في

عداد المبدعين أم أنه مضى فيه على سعة من قبله

فكان في عداد المقلدين ؟

يجدحنا أبو الفرج في أغانيه في رواية على لسان

جحظة أن ما قاله العباس في نوز لم يكن إلا تقليدا

لما قاله أبو العتاهية في « عتبة » ، وأنتا لو أخذنا

بهذه الرواية الغربية لترتب علينا لا أن نقوض أصالة

شاعرية العباس فحسب بل أن نقوض حقيقة حبه

وعلاقته بقوز أو بعلية بنت المهدي على رأينا في تقرير

الشخصية الحقيقية لصاحبة العباس (١) .

جعلت محلة البلوى فؤادي
وسلّطت السهاد على رقادي !
ونبت خلسة وفقدت نسومي
أما استحيي رقادك من سهادي ؟
وتد نجد العاشق أشد ما يكون شوقا إلى
الكرى ليرى طيف الحبيبة في المنام إذ هو محروم من
رؤيتها في البقعة :

ذريني أتم أن لم اتل منك زورة
لمل خيالاً في التسام يزور
.....

خيالك حين أرقد نصب عيني
إلى وقت انتباهي لا يزول
وليس يزورني صلة ولكن
حديث النفس عنك به الوصول

وهو إلى ذلك نازل مفرط في النحول دائب على
التحسر واليبكاء ..

نعم ! اننا نقرا كل هذا في شعر العباس مما
قراءناه في شعر سواه ، ومع أن هذه هي موضوعات
مطروقة من قبل إلا أنها لا تخرج عن كونها أصيلة
لأنها صادرة عن عاطفة حقيقية ومثل هذه العواطف
طبيعية يستشعرها كل محب صادق فلا سبيل إلى
تجربتها أو الاستعاضة عنها بسواها لأنها باقية
بقائه الحب .

وما الذي جاء به العباس من جديد ؟ وبم امتاز
به عن سواه من المدحيين ؟

كما نعلم أن العباس عربي المحتد بصري المولد
بغدادى المنشأ ووجود شاعر مرهف كالعباس في
بلد كبغداد وفي عصر من ازهى عصورها ازدهارا في
العلوم والفنون والآداب أصيلة ومترجمة ، كل هذا خليق
أن يؤثر فيه ويخرج على لسانه شعرا هو غير ما
قراءناه لامرئ القيس أو لجمليل وغير وسواهم ممن
قالوا في الحب فلذا انت واجد في شعر العباس إلى جانب
التنحلات الإسلامية الكثير من الحكم الفارسية
وفلسفة اليونان وقد أضفى شاعرنا على كل هذا
من روحه فجاء شعره يحمل طابعا خاصا يميزه عن
سواه .

وتد أن لنا أن نتساءل عن العوامل المباشرة التي
أثرت في شاعرية العباس وَمَنْ من الشعراء كان له
أثره فيه ؟

الذي يبدو لنا أن هناك ثلاثة من الشعراء كان
لهم أثر مباشر عيق في العباس : عمر بن أبي ربيعة
وأبو نواس ، وبشار بن برد ، ذكرناهم لك مرتين
حسب أهميتهم بالنسبة إلى الشاعر .. وعندي أن
عمر اعظم الثلاثة أثرا في الشاعر ولعل هذا هو الذي

الرواية باطلّة من أساسها والرد عليها يرد من
جوانب متعددة فلو كانت للعباس في فوز قصائد معدودة
تغلب عليها السمنة ويسودها الاعتعال لأمنا بهذا الزعم ،
إلا أننا لا نهم أن يكرس شاعر عمره وقلبه على سبب
واحد ويقت هذا الباب على امرأة واحدة ليس له فيها
مطعم وليس له منها إلا الألم في حين أنه كان يوسعه
أن يقصر بعض هذا الشعر على اعظم بلاط عرفت
الدولة العربية الإسلامية في القرن الثاني للهجرة ويكون
للشاعر من وراء هذا كل ما يطمح اليه طامح ! بالإضافة
إلى إجماع أهل الأدب من قديم على إبداعه في هذا
الغرض الفرد الذي اشتهر عليه شعره ولا أدري كيف
يكون الشاعر مبدعا في غرض واحد وعلى الأخص في
غرض عاطفي دون أن يكون صادقا كل الصدق ؟! اننا
نهم أن يمدح الشاعر من لا يستحق المدح ويكذب في هذا
ما يسمعه الكذب لبطل حظوة أو يظفر بجائزة ..
ولكننا لا نهم أبدا أن يكذب الشاعر على قلبه طسوال
أرسمين عابا وإن يأتي في هذا المبدأ بالنادر المعجب هذا
إلى كون انفراد الاعاني بهذه الرواية على أنه ينبغي
لك أن تعلم أن الرواية الذي اعتده أبو الفرج ليس
بثقة ..!

فالعباس إذن شاعر مطبوع كما يشهد به بذلك
مؤرخو الأدب من قديم ونحن إذا سلمنا بأصالة شعره
وأبداعه فليس معنى ذلك أن العباس لم يطر في غزله
الموضوعات التي تعاورها شعراء الغزل من قبله ..
فنحن مثلا نقرا في شعره ما قراءناه في شعر من سبقه
كاستهداء العاشق الرياح سلام الحب أو تنسبه من
الرياح الطيب ..

واني لاستهدي الرياح سلامك
إذا أقبيلت من نحوكم بهيوب
واسألها حمل السلام اليكم
فإن هي يوما بلفت فاجيبي
.....

هاجت لي الريح منها نفخ رائحة
أحييت عظامي وهاجت طول تفكاري
أو تقرا مناجاة العاشق للحبائم ومشاركتهن آياه
شجوه أو ترى العاشق ارتقا يرمى الكواكب
ويستبطن الفجر حتى أنه ليلوذ بالراقدين متوسلا
اليهم أن يعينوه « على الليل حبة وانتجارا »
أيها الراقدون حولي اعينوني على الليل حبة وانتجارا
حدوثوني عن النهار حديثا

أو صفوه فقد نسيت النهارا
في حين أن صاحبته عنه في غفلة تنعم بنوم هنيء ..
أبست نفوذ التوم عن مقلي
ظلمها وقد طاب لها المرقد

انظر الى جسـد اضر به الهوى
لـولا تـقلب طـرفـه دـفـنـوه
وبرى عمر ان الشوق بدر للدموع فيقول :
والدمع للشوق مباح فما ذكرت
الا تفرق ماء العين فانسكبا
والعباس يقول :

سلط الشوق على الدمع غما
هب داعي الشوق الا اندفعا
وقد يُقنعُ عمر الوعد الكاذب فيقول :
فعدي نالاً وان لم تنيلني
انه ينفع الحب الرجاءُ
ويتيمع العباس فيقول :

ما ضر من قطع العباس بيخلة
لو كان عللني بوعـد كاذب
وعمر يصف لنا غيرة اهل الحبيبة الاقربين وعداوتهم له :
اذا زرت نهاراً لم يزل ذو قرابة
لها كلها لاقينه ينتمـر
والعباس يقول :

واني لاهوى ان ارى بعض اهليها
وان كان منهم شئائي ينتمـر
وعمر يغفر اذا يصف لنا ترف صاحبه والوصائف التي
تحف بها :

شـف عنها محقق جنـدي
فهي كالشمس من خلال السحاب
فـراحت حتى اذا جن قلبـي
بـهـرتـها ولانـد بالثـياب
والعباس يقول :

تعرضت لي حتى اذا ما استيتيتي
واينك تخالين في صورة البدر
صددت فما هـناتني منك نظرة
اليك ووارتك الالوان بالستر

وعمر يصف لنا اعترازه بمصاحبه وتفضيله اياها
على الناس اجمعين فيقول :
لو جمع الناس ثم اخير صفوه
شخصاً من الناس لم اعدل به احداً

والعباس يقول
فلو قام خلق الله صفا وامردت
لشايعتها وحدي وملمت عن الصف
وعمر يقدي المحبوبة بالنساء اجمعين
كل انثى وان دنت لوصال
او نأت فهي للرباب القداء
والعباس يبتغي اثره فيقول :
الا جعل الله القدا كل حرة
لفوز المني اني بها لمعذب

حداً ببعض مؤرخي الادب من قديم ان يقرنوه به .. غابن
قتيبة الدينوري ومن بعده عبدالله بن المعتز يشبهان
العباس الى الاخف بمصر بن ابي ربيعة .. وهما لا
ينظران الى الشاعرين الا من جانب واحد هو اقتصرهما
على السبب وترفعهما عن التكسب بالشعر .. والدارس
لشعر الرجلين من قريب يرى ان هناك تشابها كبيرا
بينهما لا من حيث اقتصرهما على السبب انها لاثر
عمر الواضح في اسلوب العباس ولغته بل وحتى معانيه
وافكاره ، بل اننا لنرى التقليد اوضح واقرى ما يكون
في مغامرات العباس .. الا انه يجب الا ننسى ان هناك
فارقا رئيسا بين الشاعرين فعمر يرى عبادة الجمال
في كل حسناء على حين قصر العباس عليه ونظره على
واحدة فحسب !..

وعندي ان السبب الاول في تقارب شعر الرجلين
هو تكافؤ شخصيهما ونهوض الاسباب نفسها لكليهما ،
فكلهما كان مترفا تيهات له اسباب الترف واللغو جميعا
من شباب وجبال وفراغ الى شاعرية مرهفة ، وهذه
الاسباب بطبيعتها مهينة الى الحب ، ولئن تشابهت
ظواهر حياة الرجلين هذا التشابه فقد اختلف جوهرهما
كل الاختلاف ، فكان عمر زعيم الشباب المايهت المسرف
في العبث بتصيد اللذة ابن تقع ويجري وراء الجمال حيث
كان .. فجاء شعره ضاحكا اميل الى الهزل منه الى الجد
في حين ان العباس لم يله الا بقدر لا يتعدى حدود
اللعبة والاحشام وقد تضر هوام على ولحده دون غيرها
من النساء لم يكن له منها الا الحبيبة نجاة شعوره
حزيناً باكياً لمعها بالياس واللوعة .
والذي يبدو لنا ان العباس قرأ عمر واقتنن به ومن
هذا الاقتنن كان تاثره به في شعره هذا تجد فيه انه
يستعمل عين العبارات والمعاني التي استعملها عمر ،
وليس من المعقول ان العباس تعمد تقليد عمر حتى في
معانيه الغثة انما اذهب الى انه اثر طبيعي لهذا الاقتنن :
قال عمر :

ولو تفلت في البحر والبحر مالح
لاصبح ماء البحر من ريفها عذبا
ويقول العباس

ولو تنفل في البحر لألفي البحر قد طابا

ويقول عمر

غلب العزاء وبحت بالكتبان

والعباس يقول

غلب العزاء وباحت الاسرار

وببالغ عمر في وصف تحوله المتعل فيقول :

ونقلت في الفرائس (م) ولا تعرف الا اللونون اين مكاني
ويقول العباس :

وعمر يقول :

اني امرؤ موله بالحسن اتبعه
لا حظ لي فيه الا لذة النظر
والعباس يقول :

اتأذنون لصيب في زيارتكم
فنعندكم شهوات السمع والبصر
لا يضر السوء ان طال الجلوس به
عف الفسيفر ولكن فاسق النظر

وعمر اكثر من ذكر المراسلة الغرامية وكذلك
فعل العباس وقد سبق لنا ان تحدثنا في رسائل
العباس في موضع اخر ، ويبدو لنا نثر العباس
بمعمر وانحيا في هذا الباب اذ نسع عمر يقول :

دستت الي رسول لا تكن فرقا

والعباس يقتفي اثره فيقول :

دستت الي رسولها بكتاب

والعباس يحدثنا عن كتاب عتب جاءه من
صاحبه « فوز » فيه معاني صاحبه عمر والغريب ان
العباس يرد عليها ببعض ما يرد به عمر على صاحبه!
ويخيل الي ان هناك ابيانا اخرى في هذه المقطوعة لم
تسلنا لان الوحدة البيانية فيها غير تامة يقول
العباس :

كذبت في الكتاب (فوز) فقالت

في عتاب منها وفي الطراف

ما ملئت اذ ملئت ولكن

انت يا حب صاحبا استظراف

وكذاك المثل من سائر الناب

سريع الانبال والانصراف

فوز والله ما ملئت ولا كنت

لقوم سواكم بالمصافي

ايها الراقدون حولي هنيئا

ان جني عن مضجعي متجافي

وقال عمر :

فقلت وصدت انت صيب متيم

وفيك لكل الناس طلب عذرا

ملول لمن يهواك مستطرف الهوى

اخو شهوات تبذل الخلق والفررا

فقلت لها قول ابري منجلد

وقد بل ماء الشان من مقلتي نحررا

سلبت هداك الله قلبي فانعمي

عليه وردى اذ ذهبت به قبرا

وقطعت قلبي بالواعد والمي

وغصت على قلبي فاوفقته اسرا

فما ليلة نضي على الناس تنجلي

ولم ادر فيها عبرة تخسل التحرا

عليك ولم اشرق بريق ولم اجد
من الحب سوراة على كبدي فطرا
ولكن قلبي سيق للحين نحوكم
فجلت فلا يسرا لقلت ولا صبرا

فانت واجد ان الروح واحد في هذين الحوارين
الذين يعتقد بها عمر والعباس وانها دون شك
يستقيان من نبع واحد .
ولا يقف نثر العباس بمعمر بمعانيه فحسب انها
يتعداها الى الاوصاف والتشبيهات فمعمر يصف النساء
قائلا :

« آنسات مثل التنايل »

والعباس يقول :

« وحوالي كالتنايل ... »

وعمر يقول :

« (ونولي نواجم خفرت يتهادين) »

والعباس يقول :

« (خفرت كرائم يتهادين رويدا ..) »

وهناك ناحية اخرى مهمة يتشابه فيها الشاعران:
ناحية تتعلق بالمعقدة وقد سبق ان ذكرنا لك ان العباس
« تقري » ما جلب عليه عداوة المعتزلة وعلى راسهم
ابو حنبل الغلاف وعندي ان العباس متأثر بمعمر كل
التأثر فمعمر اكثر من ذكر القدر وان القدر ساقته
لحينه ونكاد نجد العباس ينقل عن عمر حرفيا في
بعض الأحيان مثل قول عمر :

« (وقد يقود الى الحين القتي القدر) »

والعباس يقول :

« (اني دعائي اليك الحين والقدر) »

وعمر يلقي اللوم على بصره :

« (لشعائتي قادي بصري) »

والعباس يقتفي اثره :

« (وكان بلية ابي نظرت غشامي النظر) »

فانت ترى بعد هذه المقارنة ان العباس متأثر كل
التأثر بصاحبه عمر ، الا اننا على هذا ينبغي الا نهمل
فرقا رئيسية بين الشاعرين من حيث الاسلوب
واللغة ، فاسلوب عمر على الاجمال اقرب الى متانة
البدارة منه الى ميوعة الخضارة ولغة عمر جزلة في حين
ان لغة العباس سهلة وعمر لا يزال بعض اثر
الجاهلية في بعض شعره حتى انه ليحلو له ان يستهل
بعض قصائده بالوقوف على الديار وهو في كل هذا
معذور لان المكان والزمان اللذين عاش فيهما غير المكان
والزمان اللذين عاش فيهما صاحبا العباس .
فوجود عمر في الحجاز ومشاهدته الاغراب
والبدو وبمعده عن كل عنصر جين هو غير وجود

العباس في بغداد ، في عمر الرشيد ، وهي تضم
أما بمتفرقة ترطن بشتى اللهجات وتووج بانواع
التناقضات ..

ويلى عبر اثرا في العباس ، معاصره وصاحبه
ابو نواس ، وقد سبق أن تحدثنا عن هذه العلاقة
من قبل ويبدو هذا الاثر في نواح عدة من شعر الرجلين
في الأسلوب والإغراض والمعاني ، ولعل هذه الأسباب
هي التي دفعت الى اختلاط شعر الرجلين في أحيان
كثيرة كما ذكرنا ذلك من قبل وليس ادل على تشابه بعض
إغراض الشعاعين من تغزل ابي نواس بالحبيبة في
بائمه بابيات له معروفة :

يا قمرًا ابصرت في بائم

ينسب شجوا بين اتراب

بيكي فيغذري الدر من نرجس

ويلطم السورد بعناب

وكذلك فعل العباس :

ان في المائم الذي شهدهت

لسرورا للأعين الناظرات

ود لو يملك البكاء فنفسدي

عينه عينها من العبرات

وابو نواس جرى على التراسل بالشعر واتهم
بمغشق الرسول وقد دافع عن هذا الإتهام وكذلك كان
أمر العباس !

ولا يفت تشابه الرجلين عند بعض إغراض
الحب انما يتعداه الى المعاني والقضايا حتى كأنه
نقل أحدها عن الآخر .

قال ابو نواس :

أيما ملين الحديد

أن عزاد جنان

والعباس يقول :

الآن لداود الحديد بقدرة

ملك على تيسير قلبك قادر

وابو نواس يقول :

وبت أسخن خلق الله كلهم عينا ..

والعباس يقول :

وكنت أسخن خلق الله كلهم عينا ..

أما نثر العباس بشار فيظهر في بعض معانيه
فيشار يقول :

ليست من الأنسى وإن قلبها

جنينة قيل الفتى كاذب

والعباس يقول :

ليست من الانس الا في مناسبة

ولا من الجن الا في التصاوير

وبشار يقول : **عسر النساء الى هياسرة**

والعباس يقول : **اقول : لكل جامعة اباب**

وبشار يقول :

ما زلت حتى استدار بي الحب

كما دارت الرحي فوق قطب

والعباس يقول :

ادرت الهوى حتى اذا كان كالرحي

جعلت له قلبي بمنزلة النطرب

وبشار هو القائل :

تمشي الهويني بين نسوتها

مشي النزيف صفت مشاريه

والعباس يقول :

تمشي كما يمشي الزيف من التفهر

وانظر من ثم كيف اغار العباس على معنى بشار

هذه الاغارة الفنية فوضعه في قالب اخر يكاد يخفى
الا على القاريه اللبيب قال بشار :

أو كبدر السماء غير قريب

حين واني والقسوة فيه اقتراب

والعباس هو القائل :

هي الشمس مسكنها في السماء

فعمز الفؤاد عزاء جيلا

فلن تستطيع اليها الصمود

ولن تستطيع اليك التزولا

وبعد ان فرغنا من عرض العوالم المباهرة التي
اثرت في شاعرية العباس علينا الا ننسى مثنا العباس
في بغداد وفي عصر من ازهى العصور ازدهارا في
الحضارة وما يحمله من العلوم والفنون والآداب اصيلة
ومترجمة وان كل هذا خلق ان يؤثر فيه ويخرج على
المتلقي اثره فهو غير ما قرأناه لامرئ القيس او
لجيبيل وجنى نمر نكسه وسواهم ممن قالوا في الحب .
فلذا انت واجد في شعره الى جانب التفننات الاسلامية
والحكم المسندة من تاريخ قلبه ، الكثير من فلسفة
البونان . وقد اضفى شاعرنا على كل هذا روحه المشبعة
بطابع العصر فجاء شعره بجبل طابعا خاصا به يميزه
عن سواه .

والغريب في امر العباس ان الحضارة باساليبها
وظروفه بمهيناتها لم تنسده وتل وهو الشاعر الحضري
العائش في بلاط الرشيد يمثل لنا الحب العميق بأعلى
صوره ولا يخلد في جوهره عن حب جليل وسواه من
البدويين المغربين .

وعندي ان العباس اول عاشق حضري عني
بالروح غناية لم يمن بها عاشق بدوي واهمل العباس
الجسد اهيلا ما سبق ان اهيله بدوي ولا حضري ولعل
للأثر اليوناني بدا في هذا (٢) .

والملاحظ في شعر العباس انه اول من عني
بالرسائل الغرامية الشعرية هذه العناية اللوحنة
نعم ان عبر وابا نواس سبقاه الى هذا الا انها لم

والحب كلها علمت عند العباس قدر ليس الى
دفعه من سبيل ...

وكان هـواك لي قدرا
فكيف افر من قدري ؟

او
الحب اول ما يكون لاجابة
ثاني به وتسوقه الاقدار
حتى اذا اقتحم الفتى لبحر الهوى
جاءت امور لا تطاق كبحار
او ان الحب عنده عبودية دائمة :

يا بني آدم تعالوا ننادي
انما نحن للنساء عبيد

ولعل هذا مبدى للآثر الاغلاطوني في شعر الرجل
واننا لنلاحظ هذا الاثر من قبل العباس لنلاحظه في شعر
جميل :

تعلق روعي روحها قبل خلقنا
ومن بعد ما كنا نطافا في المهـد
فزاد كها زندا فاصبح نايـبا
وايس اذا مننا بمنقـص العهد
ولكنه باق على كل حاله
وزاثرنا في ظلمة القبر والحد

وقد يدل لنا العباس هذه الفكرة بقالب اخر :

حفظ الله روعي روحها
فهي في جسدي شيء احد
فهي بجسدي ابدا ما انحـدا
فأذا ما افرقنا مات الجسد

او :

قالوا قد اعلت من نهوي فقلت لهم
ولي اذا لم اجد مثل الذي وجدنا
فان خالقنا للحب ببندنا
لم يفرد الروح لما افرد الجسد

او :

قلبي وقليبك بدعة خلقنا
ينجاذبان بصادق الحب

لعل من المفيد ان نثبت هنا اثر اغلاطوني في المتمدن .
اسمع الى ارستوتان يروي لنا حكاية تسترعى الانتباه:
« بعد انفصال الاجساد طوليا ، للادميين ، على
التدو الذي يتقطع به البهية حين يضاف اليها الملسح
او الشعرية حين تشطر شطرين متمساويين فيعود كل
شطر يبحث عن شطره المفقود وحين يلقاه ينجدب اليه
بقوة من يريد الاندماج فيه واستعادة تكوينه السابق
فلا يعود بقوم ياتي عمل ما لم يكن بمشاركة الاخر .
وحين يفرد شطر بنفسه يظل يبحث عن شطره الاخر
سواء كان انتهى او ذكرا » (٣)

بمعنا فيه عشاقته ولم يكثر فيه اكثاره وحسبك ان تعلم
ان للعباس بن الاخنف سنا وسبعين مقطوعة هي رسالة
شعرية او حديث عن رسالة وما نعرف بعض هذا
لشاعر قبله ...!

والملاحظ كذلك في شعر العباس انه اكثر من ذكر
العتاب في الحب وقد جال لنا العتاب وذكر اسبابه
وتناجيه . وعندي ان العباس خير من كتب في ادب
العتب وحسبك ان تقرا له ابياته :

سكوتي بلاه لا اطيع احتـبـاله

وقلبي نزوع للهوى غير جـازع

فاقسم ما تركي عناك من قلبي

ولكن لعلني انه غير ناعمي

اذا انت لم تعطفك الا شفاعـه

فلا خير في ود يكون بشافـع

ولم يكن العباس شاعرا بكاه حسب انها كان خير
من يمثل لنا صورة الشاعر الطريف اذ يعكس لنا في
شعره مجالس الغراء وما تغطي عليه من لهو جميل
تنفق انشاء اللبالي بين الشراب والسباع دون ان
تخط الى درك الفسوق والمجون ولعل خير ما يمثل
لنا ذلك قصيدته في الكرة والسولجان فهي صورة
واضحة من حياة هذه الطبقة المزرعة التي تخذت من الليل
موسدا لها فتجعب فيه وتجا في جو خامس بها هانسه
لنفسها .

وان كان لنا ان تلخص مقاهيلنا عن الشاعر من
خلال شعره لشاعرنا لم يكن تقليديا في فكرة انها كان
مزججا بين قديم سار عليه وجدد ابتكاراته مستفيدا
من ظروفه الخاصة المحيطة به وتقاليدته التي ييردو
عليها الاثر اليوناني واضحا ..

مفهوم الحب العذري في شعر العباس

ان الدارس المستقصي شعر العباس يتوصل الى
نتائج عدة منها ان الاثر التقليدي في شعر العباس عميق
وهو ينادي في الفكر والاسباب في صورة العاشقين ومن
يحيط بهما من الوشاة والحساد وفي صورة الحب وجبروته
الذي نتحلي له الجباه .. والعباس دون ادنى شك من
تخلي التقليد فلم يسر على مسأ سار عليه
من قبله انها جازما شعره بموسما بسمة العصر ولا ننسى
انه كان خير صورة للطريف الذي تقرا في شعره المثل
الاغلي من ادب الحب .

العباس تقدم الوشاة ، صاحب الموشى او القرف
والقرفاء ، وابن داود الاصهائي ، صاحب الزهرة ،
بقرنين من الزمان . وهذان اول من فلسف الحب في ادب
العرب . ومن يدري ؟ فليعلمنا ثائرا بانكار اخرى سابقة.

وما الناس الا العاشقون ذوو الهوى

ولا خبر فين لا يحب ويعشق
وهو يرسم لنا من صاحبه صورة بثلث حتى انها
لتبدو لنا وهية نسجها وصورها خيال الشاعر الملهم
المفتون .. انها لديه فوق ما يصف الواسفون :

يا ايها السائل عن وصفها
لقد وصفنا لو بلغناها
انك لو ابرتها مرة
اجلتها ان تتناها
لم ندر ما الدنيا وما طيها
وحسنها حتى رايناها

والشاعر الى ذلك يجعل من الحب ملكا ذا
سلطان على العالمين اذ يجعل منهم عبيدا
يركعون لدى قدسيه :
سبحان من جعل الهوى ملكا لافئدة العباد
ولا يتحرج الشاعر ان يظهر بمنتهى الخضوع
والخشوع لدى صاحبه المالكة المملكة : اسمعه يقول
لها ببله فمه :

فان كنت لا تدري ما العشق فانظري
الي فان العشق صيرني عبدا
او ينظم منها على هذا النحو :
يا قليل الفاء انت مليك
نظام ليس يرحم الملوكة (٤)

والعشق الى ذلك طالما ردد على مسامعنا انه
العشق الجاهل للواء العشق :
ورضيت بعد تنكبي طرق الهوى
ان قبيل صاحب راية العشاق
وهو يؤكد لنا ايدا ان حبه فرد ليس له من نظير
كيا وانه سار عجب الناس وانه سيكون من بعد رواية
الاجيال :

فقد عجب الناس من امرنا
وانسأهم قصص الاولينا
وصرنا حديثا لمن بعدنا
تخبر عنا القرون القرونا

ويسأل العباس نفسه عن الباعث الاول للحب :
اتراها العين ام انه القلب ؟ وقد يحلو له من ثم ان يعقد
لنا مناظرة بينها يرويها على لسان شعره كيا راينا
ذلك اول البحث (انظر قبله) .

ان القصص الشعرية التي بين ايدينا للشاعر
جميعا شهود بينات على ان الحب لدى العباس ار
هو التحقيق للمالية العفاس او على الاقل انه سعي
للعيش على ضوئها ولعل في هذا نلح انرا من آثار
المتجمع في الشعر .

هذه الاسطورة كانت شائعة في عصر العباس :
ابن داود الاسفهانى ينقلها لنا على هذا النحو وفي
الزهره :

« .. وزعم بعض المتفلسفين ان الله جل ثناؤه
خلق كل روح بدورة الشكل على هيئة الكرة ثم قطعها
ايضا فجعل في كل جسد نصفا وكل جسد لقي الجسد
الذي فيه النصف الذي قطع من النصف الذي معه كان
بينهما عشق للنسابة القديمة وتفاوت احوال الناس
في ذلك على حسب رقة طبعائهم » (الزهره : ١٥) .
المسعودي في القرن الرابع الهجري / العاشر
الميلادي يذكر لنا هذه الاسطورة في مروج الذهب على
هذا النحو :

« .. وقال بعضهم : ان الله خلق كل روح مدورة
على هيئة الكرة وجزاها انصافا وجعل في كل جسد نصفا
فكل جسد لقي الجسد الذي فيه النصف الذي قطع من
النصف الذي معه كان بينهما عشق للنسابة القديمة
وتفاوت احوال الناس في ذلك من القوة والضعف على
قدر طبعائهم

« ولأجل هذه المقالة خلب طويل فيها ذكرنا . وان
النفوس ثورية : جوهر بسيط نزل من علو الى هذه
الاجساد فسكنها وان النفوس تلي بعضها على حسب
مجاورتها في عالم النفس في القرب والبعد وذهب الى هذا
المذهب جماعة ممن يظهر الاسلام واعتلوا بدلائل من
القرآن :

« يا ايها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية
مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي » قالوا يا مال جوع
الى الحال لا يكون الا بعد كون متقدم ثم قول النبي
(ص) فيها رواه سعيد بن ابي مريم قال اخبرنا يحيى بن
سعيد عن عمرة عن عائشة عن النبي (ص) انه قال :
« الارواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر
منها اختلف » (مروج الذهب ٣ : ٣٨٢) .

وذهب الى هذا القول جماعة من الاعراب ، فلي
ذلك يقول جميل بن عبدالله بن معمر العذري في بئينة :

تعلق روجي روحها قبل خلقنا
ومن بعد ما كنا نطافا وفي المهد
فزاد كيا زندا فاصبح نايبا
وليس اذا متنا بمنقضى المهد
ولكنه باق على كل حالة
وزائرنا في ظلمة القبر واللحد

وبكلية جميلة فالشاعر تأثر بكل ما تأثر به عمره
من افكار ونظريات توارثها من قديم .
والعباس يلوح لنا صادقا كل الصدق في رسم
المسورة للهوى الانطلاوني الذي عاشه طوال حياته
وهو يضع لنا الحب فوق كل العواطف الانسانية :

والعباس يرسم لنا من الحب لوحة قاتمة لعله استوحاها من تجارب مريرة :

ألا يا جاهلا بالحب سلتي عندي الخبر
فإن مذاقه مر
ومشرب صفوه الكدر
نهاري كله عبر
وجفوني مأوها درر
وقلبي حشوه فكر
وكان بليكة أني
نظرت فشاخني النظر

والشاعر يرسم لنا آلام المجهورين بالوان مثرية للرثاء فنحن لا نملك الا ان نأسى للشاعر اذ نراه باكيا يشكو او ساعدا يتقلب على جمر او قلقا يتبو به الوساد بين آمال ضائعة وعواطف محيومة .. وهو يحب ابدا ان يرسم صورة للآل الخائب برحالة تائه ينشد قطرة من ماء وراء لمع السراب الخلوب :

وفي نظر الصادي الى الماء حسرة إذا كان ممنوعا سبيل الموارد

تري .. ايحق لنا ان نرى من بعد في الشاعر كائنا يرى ان كمال اللذة في كمال العذاب ؟ انه لمن المؤكدا حقا ان شاعرنا كان ممن يلذذ عذابه وتستويبه احزانه وتعذب في عينيه دموعه ! وان كل هذا من بعد طبيعة الروحانيين السابحين في ملكوت الجلال .. ولا يهولك من بعد ان تقرا على لسان الشاعر قوله :
وقد وجدت امر الحب أحلاه !

هذا المصراع يلخص لنا فلسفة استعذاب العذاب وهي شهادة تبيح الشاعر وتشهد له برهانة الحس ورقة الشعور واسالة العاطفة .. رحم الله العباس! لقد كان وما زال وسيبقى امام العشاق المتصوفين .. وكان وما زال وسيبقى السقونية الرائعة في موسيقى الشعر العربي على توالي العصور .

الدكتورة عائنة الخرجي
كلية الآداب
جامعة بغداد

انه هذا المفهوم للحب ترجم اشرف ما تكون عليه الترجمة على لسان الرسول العربي الكريم بالحديث المنثور عنه صلوات الله عليه :

« من احب وعف وكرم ومات فهو شهيد » .
ولعل تحت هذا الحديث الشريف تنطوي فلسفة العباس وتمتة تلبه والعديد العديد من آياته :

فلئن هلكت لتصبح اثمية

ولا رزق شهادة المنشهد

أو

دعيني أبت لم أت في الحب بدعة

ولم اك فيما لمثني فيه أوحدا

وليس الموت بالنسبة الى الشاعر وحده الخاتمة الباهرة انما هو خاتمة كل حب اصلي :

وأول هذا الحب حزن ملازم

وهم يطير النوم والموت اخره

ولا يرى الشاعر بأسا في حب بين اثنين ما لم يفض الى فاحشة :

وما يرى في وصال اثنين قد شغفا

— ما لم يبيلا الى الفحشاء — من عار

اضف الى ذلك ان الشاعر يرى في الحب انيل عاطفة ولا يرى انسانية الا في العشاق بل لا يرى خيرا فبين عداهم ..

وما الناس الا العاشقون ذوو الهوى

ولا خير فيمن لا يحب ويعشقى

والحب في عيني الشاعر يتراءى فيما يقطن من عفة وقديسيتها هذه الهيئة او تكاد .

استغفر الله الا بن مودتكم

فانها حسناتي يوم القاه

فان زعيت بان الحب ممصية

فالحب احسن ما يعصى به الله

ولا يتخرج العباس ان يتقرن ذكر صاحبتة وحيد الله فهما من قلبه في موضع واحد !

لو شئت عن قلبي قري وسطه

نكرك والتوحيد في سطر ..!

ويتراءى لنا الشاعر خلال شعره صورة رائعة للتشجبة والفداء من اجل حب هو ادنى الى حب المتصوفة الزاهدين منه الى حب الشعراء العاشقين والا فما تقول في قوله :

اقبلوا ودي فقد اهديته

ثم كافوني بصد فهو ود

هذه نفسي لكم موهوبة

خير ما يوهب ما لا يسترد

(١) انظر مقالتي في « الشخصية التاريخية لفوز صاحبة العباس ابن الاصف » المنشور بالمجلة عدد ١٠٣٥ الصادر في ٢٨ جمادى الآخرة ١٣٨٢ هـ / ١٤ نوفمبر ١٩٦٢ السنة السادسة والعشرون وما بعدها من الامداد .

(٢) انظر افلاطون . Platon : Le Banquet de L'Amour.

(٣) انظر Platon : Le Banquet de L'Amour. Paris 1843, TV d.

(٤) انظر ايضا ديوان العباس قطعة ٢٧٥ بيت ٤١ : ٢٢١ : ٢٠ .

٢٢٦ : ٢٤ : ٤١ : ٢٤١ : ٢٠٢ : ٢٢٢ : ٢٠٢ : ٢٠٢ : ٢٠٢ : ٢٠٢

أسرار الجمال الفني في الأدب



وتقف امام لوحة رسام تصور ذلك الموضوع البطولي نفسه ، فيروك منها انها صورت لك بعضا من تلك المعاني ، تجعله يترأى لعينيك بالوانه وقسماته ، فكان الفنان اخضر لك هذا المشهد من المعركة ، بعد ان ادخل عليه من التعديلات والتفصيلات ما شاء له فنه ، ان سر الجمال الفني في الرسم يكمن في قدرة الرسام على تحويل المعنى والشعور الى صورة بصرية توأمتها الخطوط والالوان ، والضوء والظلال .

تقف امام تمثال او عمل من اعمال النحت ، تصور بطولة شعيب يناضل في معركة طاحنة ، ويخرج من نضاله حاملا رايات الانتصار ، فيبهرك من التمثال انه جسد لك معاني البأس والشجاعة والاقدام ، ومعاني الضعف والجبن والاحجام ، او انه جسد لك معنى الفرح وزهوة المنتصر ، ومعنى الحزن وانكسار المنهزم . ان سر الجمال الفني في النحت ينبع من قدرة الممثل على تجسيد المعنى وتصوير الشعور .

وقد رأيت أن سر الجبال الفني يختلف باختلاف
الفن ، فما سر الجبال الفني في الادب ؟ بل ما اسرار
الجمال الفني فيه ؟

اسرار الجبال الفني في الادب انه كالنحت يمتلك
القدرة على التجسيد ، وانه كالرسم يمتلك القدرة على
التصوير ، وانه كالرقص ذو قدرة على تسجيل الحركة ،
وكان الموسيقى بها فيه من موسيقى خارجية وداخلية ، ثم
ان الادب بعد ذلك كله يتميز بقدرته المتفردة على
الانصاح .

وبعبارة موجزة ، يجمع الادب اسرار الجمال
الفني المتفرقة في سائر الفنون ، ويضيف اليها جمال
الانصاح .

واقرا هذه الايات لملي محمود طه ، يصور فيها
ثبات « مدينة باسلة » :

ظلموا جبابرة عليك وثاروا
ووقفت انت وروحك الجبار

عصفوا بيباك ، فاستببح ، فلم يكن
الا جهنم هاجها الاعصار
حرب اذا ذكرت وقائع يومها

شاب الحديد لهولها والنار
يتصارعون باذرع مخضوبة
والسقف فوق رؤوسهم ينهار

ما زلت صاعدة لهم ، حتى اذا
سبغت العقول وزاغت الابصار
ونقبض المستنقلون ، وعربدت

ايدي الرماة ، وعرد البتار

وتقوض الحصن التبع ، ولم يكن
الا جدار يحتويه دمار

وقسا عليك المرجفون ، وحشدوا
ان ليس تضي ليلة ونهار

اطبقت كالنسر المحلق ، ما لهم
منه ، ولا من مخيليه فرار

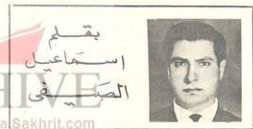
وتفرسك قلبوبهم ، فترنحوا
رعيا ، وانت الخمر والخمار

ارابت كيف اجتمعت في هذه الايات آيات باهرة
من التجسيد والتصوير ، والحركة والتنفيم ؟ ارابت
كيف جسدت وسورت هجوم الجبابرة الكاسح ، وثبات
المدينة المذهل ؟ لكان الشاعر قد استعار ازيميل المثال او
غرشة الفنان ، حين شرع بمسرح مشاهد الهجوم
والثبات ، ان الصور هنا لا تقف بنا لدى مرحلة من
مراحل الصراع ، ولكنها تتوالى لترصد في كل مرحله
ومن جميع زواياه كما لا يفعل النحت او الرسم .

تجلس امام مشهد يقدم لك رقصة الحرب ، وبصور
لك قصة بطولية ، غيثك من الرقصة ان حركات
الراقصين في تجميعهم وتفرقهم ، وتلفتهم في حذر ،
واقدامهم في جراءة ، وفي عزائهم ونهسانهم ، وغير ذلك
من الحركات ما يمثل لك الموضوع تمثيلا .

ان سر الجبال الفني في فن الرقص يتجلى في قدرته
على التعبير عن المعنى والشعور بالحركات .

ونترك الفن المرئي — من نحت ورسم ورقص —
الى فن مسموع هو الموسيقى ، انك حين تستمع الى
معزوفة تصور لك ذلك النضال البطولي الطائفر
فان ما بهز مشاعرك ان الموسيقى اسمعك من الاصوات
ما اوحى اليك ابياح قويا بانك في ساحة قتال ، وبان
القتال محتدم ، يتعالى فيه الضجيج والعجيج ، ويكثر
فيه الكر والفر ، ثم ما يوحى بان بين هذه الاصوات
المختلفة المختلطة صوتا يمثل البطل ، يظهر ، ثم يختفي ،
حتى يظهر اخيرا مؤتلفا مع انغام النصر واهازيج
الفرح .



ان سر الجبال في الموسيقى ينبثق من انها تستخدم
الاتسام مؤتلفة ومختلفة ، فتوحى اليك بها بشاء الفنان
من معان ومشاعر .

ليست هذه مقابلة بين الفنون ، فكل فن ضروريته
وظائفه ، ولم يوجد فن عبثا ، ولا يمكن لفن ان يقف عن
فن اخر ، فحين هنا لا نفاضل ولكننا نوازن موازنة تهدف
الى وضع كل فن في موضعه الصحيح .

كل الفنون قادر على التعبير ، ولكل وسائله ، ولكل
حدوده ، فالنحت والرسم لا يسمحان الا بتسجيل لقطة
واحدة ، او لقطة واحدة في المكان ، لقطة تصور مرحلة
واحدة من مراحل المشهد المتطور المتغير ، ولقد يستطيع
هذا الفن اذ انك ان ينم على المرحلة التالية ، وان يوحى
بها ، ولكنه لا يسعه الا تسجيل لقطة واحدة في المكان ،
ويستطيع الرقص او الموسيقى تمثيل المراحل المتوالية
او الابداء بها ولكن دون انصاح ، وشائما في عدم
الانصاح شأن فني التصوير .

ونستمع الى البيت الثاني ، وما فيه من احرف ذات
سفير وتعطيش (عصفوا) فاستبيح ، جهنم ، هاجبا ،
الاعصار) فنحن ان في ذلك ما يوحي بمسبح المعركة ،
وهكذا قد نهض مع الإبيات ، نتمسح الى موسيقاها ،
في ظل ما تؤديه من معان ومشاعر ، فاننا قد نهدي الى
مزيد من هذه اللحات .

ثم يبقى ان نقول ان اي فن غير فن الادب
لا يستطيع ان يترجم لنا البيت التالي مثلا :

**عصفوا بياك ، فاستبيح ، فلم يكن
الا جهنم هاجبا الاعصار**

لان هنا ثلاث لقطات لا لحظة واحدة فما يستطيع
فنا التصوير تسجيلها في عمل واحد ، ثم لان التشبيه
في اللقطة الثالثة (لم يكن الا جهنم هاجبا الاعصار)
اثر بارع من آسار الخيال الشعري لا يملكه من آخر ،
والتشبيه وسيلة من وسائل الافصاح عن الشعور
ينفرد بها الاب .

ولقد قرأت قول الشاعر :

**وقسا عليك المرجفون ، وحديثوا
ان ليس نهضي ليللة ونهار**

وعرفت انه يمثل الذروة التي يتقلب عندها ميزان
المعركة ، والبيت يفصح عن هذه الذروة ويبلغ بنسا
اعاليها وذلك ما لا يملكه من آخر جميل .

فالادب يضيق الى جمال التصوير جمال التفسير ،
ويضيق الى الحركات الخارجية حركات ذهنية وتلقية ،
ويخرج تنوعا من الكلمات يوضح الخطرات .

وجمال الافصاح يفصح للادب لادب ما يشرب فيها
فن آخر بجناح ، فبالافصاح يسع الادب ان يعبر عن
ارفف المشاعر وادق الأفكار ، وبه صارت الاداب اوعية
الثقافة الانسانية بمعناها الواسع ، وكان الادب باعث
النهضات السياسية والانسانية بمعناها الشامل ،
ولاير ما — ولعله لهذه القدرة الواسعة — كان الادب
هو وسيلة الهداة المصلحين ، والانبيا المرسلين ، في
بث دهاهم ونشر دينهم ، وكانت الكتب المساوية ارقى
نصوص ادبية عرفتها توارىخ الادب .

وبعد .. فعمل وقفتك على كل اسرار الجبال
الفني في الادب ؟ اللهم لا ، فاننا نراها اكثر من ان يتسع
الجمال لذكره ، وبحسبك اننا كشفنا لك جانبها من
السنار ، لترى بعض اسرار هذا السحر المباح ، الذي
اشار اليه افصح انسان حين قال : « ان من البيان
لسحرا » .

اسماعيل الصفي

وليست الصور هنا ساكنة جامدة فقد اضاف
اليها الشاعر عنصر الحركة ، وقد تمثلت الحركة في خطين
مقابلين ، ويتقابلهما تتم قصة البطولة : حركة المهاجرين
بمنف وقسوة وضراوة وشراسة ، وبلغ ذروتها عند
انتشار الاقاويل بان المدينة بمنزلة بين عشية وضحاها ،
ثم تنكسر هذه الحركة العنيفة الضارية وتنحدر الى ترنح
وارتعاب وشلل ، حين ينهش الوهن في اعضاء
المهاجرين تنشي الخمر في مفاصل المخومرين .

تقابل هذه الحركة التي تنتهي الى خيود حركة
تبدأ بالثبات والسمود ، ثم تضعف حين تسبو العقول
وتزوغ الإبهام ، ويضطرب السهم والسيف البثار ،
وحين يحيط الفسار بالمدافعين من كل جانب ، ويبلغ
ضعف هذه الحركة قترانه مع انتشار الاقاويل بتوقع
الانهزام السريع للمدينة ، وعندئذ تنقلب الحركة ، حين
تستجيب المدينة ما بقي لها من اباء وشجاعة ، حين يظهر
معدنها الاصيل وقد صهرته نيران المعركة ، فيسدلون
بالضرب قوة ، وبالهزيمة تمرا .

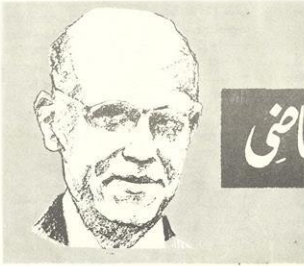
خطان متقابلان للحركة ينتهي احدهما باتدحار ،
لينهضي الآخر بانتصار ، وفي تقابلها وتفاعلها تمام
قصة البطولة .

انك لترى هذه الصورة المتوالية المتحركة بعين
الخيال ، كأنها تراها بعين الحقيقة ، بل انك لترى الصور
محدوبة بموسيقى تصويرية ، فقد اصابنا الشاعر اليما
الوانا من الموسيقى الخارجية تتمثل في الوزن والقافية ،
والموسيقى الداخلية الخفية ، وتتمثل في تكاليف العناصر
الشعرية ، وتآلفها من عاطفة وفكرة وصورة وكلمة
ونغمة ، فكانها معارف متباينة التعم ، متخالفة الإيقاع ،
ولكنها تآزرت في عمل « اوركسترا لي » فصح موحد ،
فلا ترى لها تباينا ولا نفس فيها نشوزا .

وبجانب هذه الموسيقى الخارجية ، والداخلية
الخفية تلوح لحات من الموسيقى الداخلية الطاهرة ،
تقف امام بعضها فنستمع الى توالي الدقات في الشطر
الاول :

طلعوا جابرة عليك وثاروا

ونقارنها بسرعة الصوت وقصره في الكلمة التي
تلي ذلك (ووقفت) ، فنرى ان هذا — من جهة —
يوازي العنف والضراوة والشراسة في مقابل الثبات ،
وانه من جهة اخرى نوع من التحويل الموسيقي للعنف
والضراوة ، فطول الصوت بالدقات يوحي بهذا ، في
مقابل تصر الصوت في (ووقفت) الذي يوحي بفصل
الخطاب ، والتقرير الحاسم للحقيقة بلا تحويل او
تدجيل .



ابليس أبو ماضي

بين الحيرة واغتنام اللذة

يا صديقي ، لا تملئي بتزويق السطور
بعديا اقضي ، فعملي لا يسالي بالقصور
ان اكن في حالة الإدراك لا ادري بصيري
كيف ادري بعديا أفقد وشدي ؟ .. لست ادري !
لم تفرغ ابني القصر والكوخ ، وقارن بينه - وتوصل
الى انه سواء كان في قصر ام كوخ ، فهو عبد لشكبه
مرة ، وميض مرة اخرى ، فليس في الكوخ مهرب من
نفسه ، وكذلك في القصر ، فالحيرة معه في كل مكان ،
والشك يقطع عليه كل طريق .. !

ليس في الكوخ ولا في القصر من نفسي مهرب
انني ارجو واخشى ، انني ارضى واغضب
كان ثوبي من حرير مذهب ، او كان قتب
فلماذا يمتنى الثوب عار .. ؟ .. لست ادري !
وحاول معرفة « الفكر » وكيف يبدو ، وكيف يعمل ؟
وهل هو شيء خاص او عام .. ؟ وما حقيقته .. ؟ ..
فلم يجد سوى « لست ادري ! » واحتج في نفسه
صراخ وعراك ، فهو يرى ذاته مرة ملكا ، ومرة شيطانا ،
ويعجب من قلبه الذي يتهجج مهرجا مسرورا في الصباح ، ثم
تعتريه الكآبة والمرارة في المساء :

بينما قلبي يحكي في الفضا احدى الخيالات
فيه ازهار واطيار ، تغني ، وجداول
اقبل العصر فنبسى موحشا كالقفر قاحل
كيف صرار القلب روضا ثم قفرا .. ؟ .. لست ادري !
هذا العالم من حوله مليء بالاسرار ، مغمم بالالغاز
فهذه المخلوقات جميعا من طيور وحيوانات ونباتات ،

وقف بنا الحديث في مقالة سابقة ، وابو ماضي
في حيرة شديدة ، وشك يلا عليه كل طريق .
ولعل اهم قصيدة تصور حيرته ، وتصوره عن
معرفة اسرار الكون والمفازة هي قصيدة « اللباس »
فهو يعلن في فاتحتها انه جاهل بمسبل وجوده ، وأنه
جاء الى هذه الحياة دون ارادته ، وسيل فيها على
الرغم منه ، ويتمنى لو عرف الحقيقة ، وقد يرافقه بالأساء
وقد زاد جهلا ، ولما وتزقا !

ولما اشتدت حيرته لجأ الى الطبيعة ، واختار
من مظاهرها مظهرا كبيرا وهو « البحر » فسأله عن
أصله ، وصلته بالحياة والاحياء ، وتحدث عن آثاره
النسخية في الموجودات ، وادار معه حوارا ممتعا ، وبين
ما فيه من اسرار غريبة ، وقارن بينه وبين نفسه ، ولقبه
« بكتساب الدهر » واخيرا لم يجد من محاولته واسئلته
سوى « لست ادري » .. ونسحه بعضهم بالفزع الى
الدير ، فلم يجد لدى اهل الدير الا ما زاده حيرة وشكاً ،
فهم يلقون مثله ، حائرون كحيرته ، تلهكهم اليأس
واحاملت بهم الظنون ، فلم يجدوا بدا من الاستسلام !
قد دخلت الدير استنطق فيه الناسكينا
فاذا القوم من الحيرة ينلي باهتونا
غلب اليأس عليهم ، فهم مستسلمونا
واذا بالباب مكتوب عليه .. لست ادري !
وهرع الى المقابر يسأل عن الموت ، وهل بعده
حياة او هو فناء مطلق ؟ وتناقش هذين الاحتمالين ، ولم
يخرج من نقاشه بباطل ، سوى الشكوك والحيرة :

المسكينة والحكمة والنموذج الذي ينبغي ان يقتدي به، واستخلص منها مذهباً قوامه الايمان بالطبيعة وتقليدها، ثم اللذة والاستمتاع بها . فالخيام موقفه بعد الشك سلبى ، بينما موقف ابي ماضي « ايجابى » وهذا هو الجديد لديه ، مع ثارته ..

بين ابي ماضي وايقور :

وعندما تشابكت الافكار في ذهن ابي ماضي وسيطر عليه الشك الاخذ بالاعتناق ، لم يجد بداً - كما قلت - من اللجوء الى الطبيعة ، واعتناق مذهبها من ناحية ، ومن الدعوة الى الاستمتاع بالذات من ناحية اخرى: فدينى كسدين الروض يعبق بالثدا

ولو لم يكن فيه سوى اللص منسلا
غليست تخوم المالكية تخومه
وان له - ان يعلموا - غيرهم اهلا
فكم هش للانسام والتور والندى

واوي اليه الطير ، والثر ، والتملا
وهو يلتبس مذهب الطبيعة في كل مظهر من
مظاهرها ، فيقتل الفدير ، وقد روى الطيور العطشى،

بقلم
محمود
سلطان



جانب الابل .. بل اساح للذئب الاثم ان يفتسل في
يواجهه في ليلاحة ونبل ماهرين :
ودينى الذي اختار الفدير لنفسه
ويا حسن ما اختار الفدير ، وما احلى
تجىء اليه الطير عطشى فترتوي
وان وردته الابل لم يجرز الايلا
ويفتسل الذئب الاثيم بهانه

فلا اثم ذا يحى ولا طهر ذا يلى
كما يقلد الشهب التي تبدو للعاشق والقالي ،
فتورها للجميع ، ويقلد الفيت الذي يبرو الورود
والاشواك ... انه الحب للجميع دون تمييز او تفرقة
.. واذا لم يكن كهذه المظاهر الطبيعية المتدقة بالخير
فحسبه ان يعتقد ان مذهبها خير مذهب ، وان طريقتهما
اعظم طريقة :

وان لم اكن كالرؤى والتجم والحياء

فحسبى اعتقادي ان خطنها المتلى
وهو يخلص من شكه الى استسلام يدعوه الى
« اللادرية » :

هذا صنيفك بي ، فما انا صانع ؟

قد شاء يحرك ان تضل سفيني

لها حياة ، ومسيرها الموت مثله تهايا ، وهذه اسراب
النمل تسمى لغوتها كما يسمى ، ولها من عيشها آمال
كما له آمال ، والدمر لا يفرق بينه وبينها ؛ فمالك مكره
على الوجود ، مكره على الرحيل .. وفي النهاية ما
مسيرها وما مصيره ؟ ليس يدري ؛ بل انه لا يفرق عن
« الخير » فهو مثلاً سجين صلبس وطن ، وهي مثله
لا تدري وجودها ، ولا تعرف له معنى :

انا كالصهبا ، لكن انا صهبائي ودني
اصلها خاف كاصلي ، سجنها طين كسجني
ويزاح الختم عنها ، مثلاً ينشق غني
وهي لا تنفقه معناها .. واني ! .. لست ادري !
ثم هو لا يعلم شيئاً من ماضيه ، ولا يفقه شيئاً
عن مستقبله ، ولا يدري كنه ذاته :

انا لا اذكر شيئاً من حياتي الماضية
انا لا اعرف شيئاً من حياتي الآتية
لي ذات غير ابي لست ادري ماهية
فمنى تعرف ذاتي كنه ذاتي ؟ .. لست ادري !
ويخرج في النهاية كما دخل ، لم يجد حلاً للفاز
الوجود ، ولم يستطع ان يصل الى شيء من اسراره ؛
انتي جئت وامضي ، وانا لا اعلم
انتي لفز .. وذهابي كهجيتي ظلمس
والذي اوجد هذا اللغز لفز بهم
لا تجادل .. ذو الحجا من قال : اني .. لست ادري !
وعندما يلات الشوك نفسه « ينشق من حركته
الحقيقة ، واحاطت به حيرة شاملة التج الى اللذة يسب
منها قبل فوات الاوان :

اتزور روحك جنة فتفوتها
كيما تزورك بالظنون جهنم ؟
وترى الحقيقة هيكلًا متجسداً
فتماعفها لوساوس تنوهم ؟

يا من يحن الى غد في يومه
قد بعث ما تدري بما لا تعلم
قم بادر اللذات قبل فواتها
ما كل يوم مثل هذا موسم !!

وهو يدعو الى التيسم والتلذذ بالحياة ، لانه يرى
انه لو فانت فرصة التيسم ، فلن تعود مرة اخرى :
قلت : ابنتم مادام بينك والردى

شسبر ، فانك بعد لن تتيسمها
ولكن الحقيقة التي ينبغي الا تفوتها ان ابا ماضي،
وان كان متأثرًا بفكرة « الخيام » في هذه الحيرة
الشديدة ، ووجوب التمتع بالذات قبل فواتها الا ان
الجديد لديه ان الخيام لم يكن له من شكه مذهب ،
فانطوى على نفسه ، واقتصر على لذته ، ابا ابو
ماضي فقد اتخذ من هذا الشك سبيلا الى تامل الطبيعة ،
وما فيها من جمال ، ثم لجأ اليها يلتبس لديها

وهو ايضا لا يرضى الذل لنفسه :

حر ، ومذهب كل حر مذهبي

ما كنت بالفاسي ، ولا المتعصب

ويقولون : انه اذا كان ابو ماضي يحب الطبيعة احيانا ، لا يها لا تفارق بين الناس في عطائها وبذلها فانه احيانا يرى كالمساخطين عليها ، لا يها تعمي بها بين الناس من فروق خفيفة بالتفريق :

قد يصير الشوك اكليلا لملك او نبي

ويصير الورد في عروة لأم او نبي

ويخلصون من كل ذلك الى ان ايليا تليذ لابيتور ، متأثر به في فلسفته واتجاهاتها .

وفي رأي ان ابا ماضي ، وان كانت له آراء شبيهة بآراء ابيتور ، سواء عن اطلاع على هذه الآراء ، او مجرد الصدفة ، الا ان ابا ماضي له شخصيته المستقلة في تفكيره واتجاهاته .

ويمكن القول بان ابا ماضي لم يكن كابيكتور ، يفضل مجرد القرار من الالم على السعي في تحصيل اللذة ، فهو ان لم يكن الالم فانه سرعان ما ينحرف أثناء قراره صوب اللذة والتمتع بها حتى آخر لحظة من الحياة :

قلت : ابستم ، ما دام بينك والردى

شبر ، فانك بعد لن تنبسطا
وهذا فرق كبير بينه وبين ابيتور ، لان ابيتور موقفه سلبي ينطوي على مجرد القرار من الالم .

وابيتور يسعى في فلسفته بالبحث في الاخلاق المؤدية الى غشابة وراحتها هذه الحياة العملية بحسب . واما ماضي قد يوافق في ذلك ، ولكن لا عن تقليد ، وانما لان حياة ابي ماضي واشغاله بالتجارة توى في نفسه هذه النزعة العملية ، والاهتمام بالغايات الملموسة في الحياة .

اضف الى ذلك ان ابا ماضي كانت له احيانا حياته الخيالية ، وفلسفته النظرية ، ومثله العليا ، ولم يكن مجرد مادي ، بل كان يعيش لجسده ولروحه معا ، وله نزعة الى التأمل والروحانية ، فكثيرا ما خاطب نفسه ، وحاورها ، كما آمن بفكرة « وحدة الوجود » . وقيل ابن سينا في معتقده بان الروح هي بيت من عالمها الاسمي ، فهي نحن للرجوع اليه ، ولما اعياء الرجوع تخيل عالم العودة في اعيائه . . الى اخر هذه النزعات الصوفية البعيدة عن هذه الحياة المادية الواقعية .

واذا كان ابيتور من دعاة الاعتزاز بالنفس ، وعدم اذلالها ، لاي كان في الحياة ، او للحياة نفسها ، فابو ماضي ينتج هذا الاتجاه عن استقلال وذاتية دون تأثر بابيتور ، بدليل انه نظم في هذا المعنى شعرا ، قبل ان يسافر الى امريكا ، اي في مطلع حياته الادبية ، حيث لم تكن ثقافته ولا ظروفه تهيئه له قراءة فلسفة ابيتور ، او غير ابيتور من الفلاسفة .

ونلاحظ انه في تصيدة « اللباس » رد عبارة « لست احري » اكثر من سبعين مرة . . وهذه « اللادرية » وما تبعها من تشاؤم قضى عليه ابو ماضي بصرعة منتجها صوب التناول ، والبسمة المشرقة . وقد رأينا كيف انفلت من التشاؤم الى التناول عندما قال :

واطار عن جفني الكرى واطارني

عن مرقدني مشي الهوم ببرقدي
في جنح ليل مثل حظي حالك
كالبحر ساج .. مفر كالفد

ثم قال :

ما دبت في الدنيا فلا تره بها

فأخسو الزهادة بيت لم يلحد
لا تقتطن من الحياة لمصرة

ما لا ينال اليوم يدرك في غد
وهذه « اللادرية » ، وما تبعها من تشاؤم ، ثم تناول ، يردحا بعض الباحثين في شعر ابي ماضي الى المذهب « الابيتوري » بينما يرى الأستاذ الدكتور « شوقي شيف » انها من ايمان قلب ابي ماضي . . ويعمل القائلون بلبذة ايليا ابي ماضي لابيتور لرأبهم باسباب اهمها : ان « ابيتور » يرى ان الحياة ملأى بالشروع ، وان الغد مخيف ، وانه لا مفر من شرور اليوم ، ولا من محن الغد ، ويرى ان القرار من الالم خير من السعي في تحصيل اللذة ، وان ابيتور لم يقدر من فروق الفلسفة الا ما يبيح في الاخلاق ومقارها ، لان الفلسفة عنده كانت سبيلا تؤدي الى غاية ، وراها هذه الحياة العملية .

واخيرا فقد كان ابيتور لا يجيز للانسان ان يرضى لنفسه الذل والهوان من كائن في الحياة ، او من الحياة نفسها .

ويرى هؤلاء ان هذه الفلسفة الابيتورية متوفرة لدى ابي ماضي ، مما يدل على تأثره بهذه الفلسفة ، ولا سيما ان « الخيام » كان تلميذا مخلصا لابيتور ومن الظاهر تأثر ابي ماضي بالخيام .
ومما دللوا به ايضا على هذا التأثير بابيتور ان ابا ماضي لا ينكر ان الحياة مليئة بالشروع ، وان الغد مخيف ، ولذلك تخلص من آلامه بلهوه :

احلم الناس في الحياة اناس

علوها ، فأحسبوا التعليل
وكذلك كان « ابيتور » يرى ان القرار من الالم خير من السعي في تحصيل اللذة ، ويقولون : ان ايليا لم يهتم بفلسفته الا في مباحث الاخلاق التي تؤدي الى غايات عملية ، فهو يقول :

كل نجيم لا اهداء به

لا ابالي لاح او غربا !

فها هو يتغنى بالحرية في قصيدة له بعنوان « الحرية » ، ويحدثنا انه يفتن بها ، لا بجبال الحيوانات ، لانها ابنة كل حر ، وكيف لا والحرية طبيعة في النفوس البشرية ؟

**فنتكته محاسن الحرية
لا سليمى ولا جمال سبيته
هي امنية الجميع ، ولكن
ارهقته الطبيعة البشرية
وعجيب ان يخلق المرء حراً
ثم يابى لنفسه الحرية
عادة ما عرفت قلبا خاليا
من هواها ، حتى القلوب الخلية
غرسيت في فؤاده الحب طفلا**

فما الحب والفراد سويه
وله قصيدة نظمها في « مصر » في بدء حياته الادبية عنوانها « ايا نيل » يحيي فيها المصري الذي يابى الذل ، ويودح الاحرار الذين ذادوا عن حريتهم :
**يعز على المصري ان يحصل الاذى
وحاضره يابى الهوان وغابره**
وفي قصيدته « اياها القلم » يشن هجوما عنيفا على الظالمين المستعمرين :

**اما كفى ان في اذانهم صمما
حتى ارادوا بان يتنابنا الصمم ؟!**
ويرسم صورة لكبت الحرييات من جانب المستعمرين ، وتبديد الصحف والاطلاق في ذلك الوقت الذي ينبغي ان تجد فيه حريات الناس وارأؤهم :
**كانما سئما الا يزال بها
روح على الدهر لم يظفر بها السام**
ثم يبين مدى التصميم على استعادة الامجاد ، لان الموت اجمل من حياة الذل والهوان :
**انا لاقوم لنا مجد سنذكره
ما دام فينا لسان ناطق وقم**

**يابى لنا العز ان نرضى المذلة في
عصر رأينا به العبدان تحترم
للوقت اجمل من عيش على مضض
ان الحياة بلا حرية عديم !**

وهذا الشعر في مطلع حياته الادبية ، مما يدل على ان نزعة الاعتزاز بالنفس طبيعة فيه ، لم يتأثر فيها بأحد ..

اما سخطه على الطبيعة والاستشهاد بقوله :
**قد يصير الشوك اكليلا لك او نبي
ويصير الورد في عروة لص او بغي**
فهذا ليس سخطا على الطبيعة ، او تبرما بها ، وانما هو هنا في مجال التعبر عن سخط عام ، نحو طلائس هذا الكون ، التي لم يستطع حلها .
فكل شيء في الوجود يسير درغا مكرها ، دون ان

يعرف سببا لاتجاهه او يستشار في مسيره .
ولنقرأ مما المقطوعة التي ذكر فيها هذان البهتان ، لتنتشع ايماننا السورة :

**ان هذا الفيت يهي ، حين يهي مكرها
وزهور الورد ، تقش مجبرات عطرها
لا تطيق الارض تخفي شوكتها او زهرها
لا تسلم : ايها اشهي وابهي ؟! لست ادري !**

**قد يصير الشوك اكليلا لك او نبي
ويصير الورد في عروة لص او بغي
ايغار الشوك في الحقل من الزهر الجنى ؟
ام ترى يحسبه احقر منه ؟! لست ادري !**
فهذا الغيت يتسلط على الرغام منه ، وهذه الزهور تنشر شذاها مجبرة غير مخيرة ، وهذه الارض لا تملك من امرها شيئا ، فلا تستطيع ان تظهر زهرا ، او تخفي شوكا .

هل الزهر ابهي من الشوك ؟.. قد تجوز الايام على الملوك فيكثلون بالشوك ، وقد يهون الورد ، فيوضع في عروة سبي صغير ، او يغي مومس ! ولا احد يدري شعور الشوك تجاه الورد .. ايغار منه ؟ ام يعتبره احقر .. واندى بحيث لا يستحق هذه الغيرة ؟

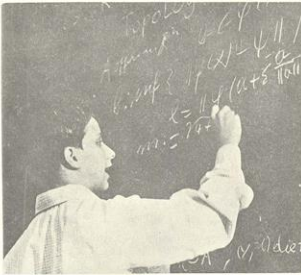
فليس السخط هنا على « الطبيعة » وانما على الاقدار التي تسيّر الرء في حياته غير مخير .. انه امتداد لحديثه عن الطلائس الكونية التي تحيره ، ويجزءه حل مضائلها ..

وعلى انه كل تان « لادرية » ابي ماضي لها غاية بعيدة من مجابح الفلسفة المتقدمة ومعتقداتها .. وشككه يعتبر غذا من نوعه ، لانه لما غلبه الشك لجأ الى الطبيعة ، واستكان في رحابها ، ووجد في مذهبها استقرارا نفسيا له ، وامانا يسير على نهجه وعهده ، ثم فزع الى اللذة يعيب منها . ولكنه لم يكن سعيدا بما حققه وحده من هذه المعرفة ، وتلك الهداية للطبيعة ومذهبها ، والفرغ الى اللذة والاستمتاع بها ، فاراد ان يشاركه غيره في التساؤل عماه يهتدي الى مثل ما اعتدى هو اليه .

ثم ان هذا الشك ، وتلك الحيرة ، لم يجد الشاعر طريقا للتخلص منها الا « بان يفتح قلبه للحياة ياخذ منها اجمل ما فيها ، ويغض الطرف الاخر عن كل شروها ، وهو يريد ان يغض الناس عيونهم مثله حينما يحارون ، ولا يجدون سبيلا الى المعرفة ، فينسبون مثله ما فيها من قبح وشر » .

وهذا من الجديد في حيرة وشك ابي ماضي ، وفيما آل اليه تفكيره بعد هذه الحيرة وذلك الشك .

وهذا يتفق مع ما قاله الاستاذ الدكتور شوقي ضيف من ان بسمة ابي ماضي في تشاؤمه انت من طلب ابي ماضي ، وليست تقليدا لاحد ..



النبوغ المبكر عند

الطفل التاليف: أمار أهدى النظريات أمام العديد من اساتذة الجامعة

الأطفال

مقتسم
ARCHIVE
عبد العزيز جاده
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

ومبولها في حقول الموسيقى والرسم والرياضيات واللغات ومجالات النشاط الأخرى ، فكيف يتسنى للعلم ان يعمل العجائب الظاهرة العارضة — المبركة بالحواس — عند الطفل في أي سن والتي حيرت البشرية ؟

لقد اخفق العلم حتى الآن في اثبات هذه الحقيقة . والتحدّي الذي لا يزال معلقاً ، ولا يزال غير مبثوث فيه ، للتعليل العلمي هو حالة « كريستيان هينيكين » Christian Heinechen الذي تكلم بمعدّ بضع ساعات من ولادته في مدينة « ليوبيك » عام ١٧٢١م (١) فكيف يمكن للطفل ان يعرف ما كان يريد ان يقول في هذه الفترة الوجيزة من الزمن التي مرت منذ الولادة ؟ ان الأطفال يتعلمون الكلام عن طريق محاكاة آباءهم في نطق الكلمات . ولكننا نجد انه لم يكن هنالك أي وقت لكريستيان هينيكين سوى ساعات قليلة ليتعلم كيف يتكلم وكيف يستخدم لسانه وشفته وعضلات

تطالعنا الصحف والمجلات من حين الى اخر بانباء اطفال موهوبين ذوي ذكاء خارق للمادة ، تبدو منهم يواذر معرفة او مقدرة اعلى بكثير من مستوى غيرهم ممن يكبرونهم سنًا . ومن رأينا ان هذا الموضوع من الاهمية بحيث لا نقف حياله دون ان نصدى له بالبحث والدراسة .

يقول المشتغلون بالطب ان هذا النبوغ المبكر عند الأطفال ان هو الا حصيلة غدد شاذة ، وبالأخص الغدة النخامية والغدة فوق الكلية وتلك الغدة الغامضة باللغة الصغر المسماة بالغدة الصوبرية .

وليس من شك في ان امراضات هذه الغدد هي التي تسهم في انشاء المقدرة العقلية او في اعاقها ، حسب مقتضيات الاحوال . ولكن اذا لم يستطع العلم ان يبرهن بها لا يدع أي مجال للشك ، على ان غدد الأطفال المولودين حديثا تحتوي على خلايا دقيقة جدا تحل معها المعرفة الغريزية والتجربة ونزعات الانسلاف

قرية « بون » التي أصبحت فيها بعد عاصمة للاثينا القريبة . فليد عرف في حفلات عامة في سن الثالثة، وطبعت أول قطعة موسيقية له حين كان في العاشرة من عمره . وحين بلغ الثالثة والعشرين من عمره كان قد لحق أذنيه الصمم ومع ذلك فقد استمع الناس إلى سيمفونيته التاسعة بأعجاب شديد الهوا على أثرها اكتمل من التصفيق . لقد كان يبتوهون حينذاك هو الوحيد المحروم من سماع لحنه الخالد . . يرى غقط ايدي تتقارب ولا يسمع الا دوي الصمت في عالم فارغ الا من الحصة . و « شوبان » عزف الكونشرتو امام الجماهير قبل ان يبلغ التاسعة من عمره . و « شوبرت » كان يؤلف ولما يبلغ الحادية عشرة من سني حياته . وغيرهم من امثال « باجاتيني » و « هيندال » و « ليست » و « بيزيه » ، فقد ظهرت عبرتيهم الموسيقية واضحة ولم يبلغوا بعد العاشرة من عمرهم .

انني لکن لعلوم الطب كل تجلة وكل احترام لما لها من مآثر واعمال بارعة تهدف الى خير الانسانية جمعاء . ولكن هل يمكن ان يكون مثل هذا الحشد الكبير من المواهب الموسيقية وغيرها قد تقدموا الى الملا بأعمالهم الخالدة ونشروا وعرضوا على العالم اجمع هذه القدرات والامارات في مثل هذه السن الغضة البضة كنتيجة لافرازات من غدهم ؟ .

ان « وليم جيس سيديز » طلل الولايات المتحدة المصيبة ، لكنه ان يترأ ويكتب وهو في الثانية من عمره . وحين بلغ الثانية تكلم الفرنسية والروسية والانجليزية والالمانية وبعض اللاتينية واليونانية . والمعلم البولندي « هينيكين » الذي تكلم بعد ولادته ببضع ساعات ، امكنه ان يردد عبارات وفقرات من الانجيل بعد بلوغه اثني عشر شهرا من عمره . وحين بلغ الثانية من عمره كانت لديه معلومات عظيمة وبارعة في الجغرافيا . وتكلم اللاتينية والفرنسية في الثالثة من عمره ، ودرس البحوث الفلسفية العميقة في الرابعة .

واللورد « ملكولي » كتب تاريخا عالميا وهو في السابعة من عمره ، لو كان انجزه شاب يكبره في السن اربع مرات لاعتبرنا عملا بطوليا غدا . والفيلسوف الانجليز « جون ستوارت مل » ، تعلم اليونانية وهو في الثالثة من عمره ، حيث كان يسيطر على حياة الاطفال في مثل هذه السن اللهو واللمب بالدمى الصغيرة . وقد كتب موضوعا عن تاريخ روما وهو في السادسة والنصف ، وقام بتدريس اللاتينية وهو في الثانية ، ووضع مؤلنا عن تاريخ الحكومة الرومانية وهو في الحادية عشرة .

و « جان فيليب بارانتيير » اتقن اليونانية وهو في السادسة من عمره ، فترجم التوراة الربانية الكبيرة في

حججرتي في تكون الكلمات والتفوه بها والتعبير عما يريد . لقد عرف الطفل البولندي كيف يتكلم . ويصرف النظر عما يكون عليه جهازه الغذائي من عظمة ورومة عند الولادة ، كيف يتأني لخد طفل له بضع ساعات من العمر ان تقوم بهذا العمل اللذ الذي لم يسبقه اليه احد سوى سيدنا المسيح اذ تكلم في المهد وكانت هذه احدي معجزاته التي برا بها امه السيدة العذراء .

يقول بعض الروحيين ان حلا واحدا فقط يمكن ان يبين السبب ويعمل هذه المصادفة او الحادثة الغريبة غير المتوقعة ، هي ان هذا الطفل المولود حديثا عرّف كيف يتكلم وماذا يريد ان يقول قبل ان يتعلم اي شيء في الدنيا بعد ان نبت ولادته . فلقد كانت لديه معرفة سابقة . والاجابة الوحيدة على هذا — كما يقول بعض الروحيين — هي : « الناسخ » او « العودة للتجسد » Re-incarnation اي ان في جسد الطفل الصغير كريستيان نفسا كانت تعيش من قبل في زمن مضى .

وهناك كثير جدا من الشواهد عن الاطفال الموهوبين تتحدى ايضا اية نظرية تقول ان الغدد الشاذة هي السبب :

في عام ١٨٧١ وفي احدى قرى « المانيا » ولد « انريكو اسينيكيم » ، وبدا يتكلم بكل فصاحة في الشهر العاشر من عمره ، وبعد شهرين تعلم اسفار موسى الخمسة ، وفي الشهر الرابع عشر تعلم المهندسين (القديم والحديث) ، وفي العام الثاني من عمره اتقن تاريخ الانبياء ، وقيل انه كان يقاتل شيوخهم في فصاحته اللاتينية ويظهر غلطات في مؤلفات اكبر ادباء فرنسا .

وفلا في الثانية عشرة من عمره ، هو ابن الدكتور كلينش Dr. Clench اجاب بدقة دقيقة لا تخطيء على اسئلة متعمقة في القانون والتاريخ والجغرافيا والرياضيات وعلم الفلك . وعندما انتهى العلماء الاذاذ من اختباره الخارق للطبيعة كان التعب والامعاء قد اصابهم اكثر مما اصاب الغلام الصغير .

والسير « لاندون وونالد » كان يعزف على البيان قبل ان يتكلم من الكلام .

و « موزار » الموسيقار الطائر الصيت ، عزف على الارجن والف ووضع الحان لاغنيات راقصة خفية قبل ان يبلغ الرابعة من عمره . وكتب كونشرتو كامل الاجزاء وهو في السادسة وكان في الثانية عندما لحن سيمفونية ، وفي الثانية عشرة من سني حياته الف روايته الموسيقية الاولى ، كما الف لحنا كتبها مشهورا وقام بقيادة فرقة اوركسترا كبرى وهو في هذه السن المبكرة .

ومثل ذلك ايضا قيل عن عباقرة الموسيقى من امثال « بيتوهون » الذي ولد تحت سقف متواضع عند

صدر بخصوصه يقول : « ان هذا الغلام عنده من المعارف أكثر مما عند معظم الناس في العالم » .

وليس هناك تفسير علمي يمكن ان يعطى نبوغ « وليم جيمس سيديس » الطفل العجيب الذي كان عنده من المعارف ما اهله للحاضرة في موضوع غامض عويص كموضوع البعد الرابع ، وذلك امام اساتذة اقداف وهو لما يبلغ الحادية عشرة من عمره ..

هل يمكن ان يكون هناك اي حل اخر لمسألة النبوغ المبكر عند الصغار ، سوى الحل الذي يمكن تفسيره او تحليله للطفل « كريستيان هينيكين » الذي تكلم بعد مضي ساعات قليلة من مولده — التناسخ ؟ ..

والفيلسوف الطيب ابن سينا حقق القرآن وكثيرا من الادب في سن العاشرة ، واستوعب علم الهيئة وعلم الطب في سن السادسة عشرة . ثم علم النطق والطبيعة والرياضة والعلم الالهي في سن الثانية عشرة ، وتوكل من حل المسائل الهندسية بنفسه بعد ان اكتمت بقراءة خمسة اشكال او ستة من كتاب اقليدس .

ان كل ما يسمى « طفلا عجيبا » توجد فيه نفس ولدت في حياته تحل معها تجارب ومعارف ومتغيرات اخرى غريبة وغيرها ، من حياتها او حيوانها السابقة . ومن قبل هؤلاء جميعا ما يقول « اخناتون » عرش مصر وعمره لايزيد عن الثالثة عشرة عاما ، ومع ذلك كان صاحب فكرة وصاحب دعوة (2) لقد كان يهتم باشياء لا تهم الحياة من سبقه من الملوك . وتضمن بهذا اهتمامه بالمسائل الدينية والميتافيزيقية . ولقد دعا في هذه السن المبكرة الى عبادة اله واحد يرمز اليه قرص الشمس « آتون » . وهذا الاله الجديد في نظره ليس قرص الشمس ، بل هو « القوة الكسائية في قرص الشمس » ، وهو الحرارة التي تشع منه .. ولقد جعل اخناتون الهه الها للعالم كله ، وبهذا ربط الناس في عبادة واحدة عن طريق التوحيد ، وعن طريق الحساب وسمو النفس .. وعلى الرغم من ان « آتون » عال في السماء ، الا ان توبته تغير كل الحياة على الارض .

ولقد قرأنا في الصحف منذ وقت قريب عن صبي في الثالثة عشرة من عمره الذوق بجامعة يوينغ بتمريض خاص من وزير التعليم في ولاية « بفاريا » لانه يبشر بان يكون عبقريا في الرياضيات . ويعد هذا الصبي واسمه « ايلهارايدر » اصغر طالب جامعي في ألمانيا بل وفي اوروبا الغربية كلها . ومما يذكر ان ابدر القسي — عندما كان عمره تسع سنوات — محاضرة في جامعة ايرلانجر عن نظرية النسبية! (3)

وعن صبي في الرابعة عشرة من عمره ، يتقود اوكسترا لندن السمفوني في اولي حفلاته التي يقدم فيها مؤلفاته . ولقد بدأ هذا الطفل « اوليفر كينوسن »

اربعة مجلدات ضخمة و اضاف اليها مجلدا اخر من الحواشي والمباحث . وعندما بلغ السابعة كان عضوا في « سنودس » اكليركي في برلين . وفي الرابعة عشرة من عمره حصل على درجة الدكتوراه في الفلسفة . ولقد كان يجيد التحدث باللغات الالمانية والفرنسية واللاتينية منذ كان في الرابعة من عمره .

و « باسكال » كان رياضيا غذا منذ طفولته ومراحمته . ونشر وهو في السادسة عشرة من عمره مؤلفه العظيم « بفصل الاشكال المخروطية » .

ومثله « جون دي برونزويك » الذي كان يحل المسائل الحسابية المعقدة وهو في الثالثة من عمره . و « فيكتور هيجو » حصل وهو في الثالثة عشرة من عمره على جائزة الاكاديمية الادبية في تولوز .

و « كارل جوستاف بونج » تعلم القراءة وهو في الثالثة من عمره ، وكان يعرف وهو في الثامنة ست لغات .

والفتاة الهندية « مس شاكونتالا » التي اذهلت اهالي تايبيه ، اذ انها استطاعت ان تحل اعقد المسائل الحسابية بسرعة اكثر من سرعة العقل الالكتروني ، وتنتطق قورا بالجزء التربيعي لعدد يتكون من ستة ارقام . وفي مجالات التصوير والرسم بالالوان بدأت بهمة « روزينا بيتارليتشي » وهي في الثالثة من عمرها . وعندما بلغت السابعة عشرة اقامت معرضا لاربعة لوحات من رسوماتها .

والسير « فرانسيس جالوني » رائد عمليات الاصباح التي تلعب اليوم دورا هاما في الكشف العلمي للجريمة . لقد حاول تعلم القراءة حينما كان في سن الثانية والتف من عمره . واتت دراسة جداول الضرب — التي كانت من منفعات حياة تلاميذ المدارس وهو في الخامسة من عمره .

وعلم الطب ربما يحاول ان يبرهن على ان الغدد الشاذة عند « كينيث ولف » المولود في « كليفلاند » في مدينة « اوهيو » ، انها هي التي حولت لنسوه العقلي السريع ان يكون قادرا على الكلام بطلاقة وعلى نحو كامل ، عندما بلغ من عمره اربعة اشهر فقط ، واستطاع ان يقرأ عندما بلغ الشهر الثاني عشر ، وامكنه ان يدرس ويستوعب المعرفة والمعلومات التي اعلنه ان يكون عضوا في احدى الجامعات وهو في التاسعة من عمره .

ولكنها كانت استحالة فيزيقية وشيئا متعذرا بالنسبة للطفل العجيب ابن الدكتور كلينش ان يحشد ويكدس هذا القدر العظيم من المعلومات في القناتون والتاريخ والجغرافيا والرياضيات وعلم الفلك في سنه القليلة التي لم تزد عن الاثنتي عشرة سنة حتى ان قرارا

أما علماء النفس فيقول بعضهم ان الثبوغ ليس امرا مستقلا ومنفصلا عن سائر الوظائف العقلية . فانه اسدق تعبير للتفكير التلقائي الذي يشمل الشخص وبيئته . وليس الذكاء نتيجة لارتباطات عرضية بين التصورات والماتى بل هو كما قال « الفريد بينيه » فهم وتوجيه وابتكار ونقد . واخرا لا يمكن فصل الذكاء عن الادراك وخاصة عن الادراك البصري ، فاتها متشابكان ملازمان ولهذا السبب يحق لنا ان نعتبر الذكاء مع اصحاب المدرسة الجشطالتيه ضربا من الاستبصار (V) Insight

ويقول اخرون ان احدا لم يستطع بعد ان يجيب عن السؤال الخاص بالذكاء وهو هل وراثي او غير وراثي . غير ان الطرق المستعملة في الابحاث الحاضرة تبشر بقرب الوصول الى اجابة مرضية . ومن الطرق التي يستعملها العلماء وقتنا الحاضر للوصول الى المعلومات السديدة ما يأتي :

طريقة الموازنة والمقارنة — والابحاث الخاصة بتاريخ العائلات — والتجارب في ابناء التبنى — والابحاث في التوائم (A) .



اننا نجد في الحياة كثيرا من امثال هذه الظواهر ما يقف امامه العقل بيهورا مبهوتا . ويكفي للباحث الخبير ان يقف على سر من تلك الاسرار التي تقوم عليها الحياة المعشوية فوق هذه الارض ، ليتعلم ان جهل الانسان بجماليات الكون يزيد بنسبة عمله . فالانسان في دائرة البحث مثله كبطل من يصعد في سلم حلزوني يزداد انصاعا كلما زاد ارتفاعا . وهو كلما صعد فيه يبتد نظره الى عالم مجهول لا نهاية له .



- (1) مجلة Prediction الانجليزية عدد اكتوبر ١٩٦٨ .
- (2) من مقال للدكتور شحاته اتم محمد بجريدة الاهرام ١٩٦٩/٨/٢٢
- (3) جريدة الاهرام ١٩٦٩/١/١٢ .
- (4) جريدة الاخبار ١٩٦٨/٨/٧ .
- (5) مجلة Prediction عدد اكتوبر ١٩٦٨ .
- (6) كتاب « الانسان روح لا جسد » للدكتور رؤوف عبيد ، الجزء الاول ص ٥١٩ و ٥٢٠ طبعة ثالثة .
- (7) كتاب « ببادئ علم النفس العام » للدكتور يوسف مراد ص ٢٨٩ طبعة اولى ١٩٤٨ .
- (8) كتاب « ابحاث علم النفس في التربية والتعليم » تصنيف شارلس سكر ترجمة ايمون عبيدالتور ص ١٤٨ و ١٤٩ .

يجتذب الاهتمام عندما قدم اولي حفلاته الموسيقية بقاعة الاحتفالات الملكية بلندن . وقدم له اوركسترا نيويورك السيمفوني بعض مؤلفاته (٤) .

وعن معجزة موسيقية اخرى هي الطفل « بيريغو جاببا » الذي لازيد عمره عن عشر سنوات واجتذب الجماهير افواجا الى مهرجان هارينجاى الموسيقى حيث تولى بنجاح قيادة فرقة لندن الفيلهارمونية . ومن قبل ذلك قساد فرقة روبا السيمفونية في سيمفونية بتوفون الاولى ، وصقل له الجمهور كما لم يصقل لاحد من قبل (٥)

وغير هؤلاء كثيرون ممن يضيق المقام عن ذكرهم . فكل يبرهن الزمن على ان هؤلاء نوابغ ذوو ذكاء مفرط او انهم مجرد ظاهرة .

يقول سلامه موسى في مقال له نشر في مجلة « الهلال » عدد يونيه ١٩٢٥ ما يلي :

« ... وقيل الكلام عن الانذكياء من الاطفال يجب ان نخلى ذهن القاريء من الطفل الشاذ . نعلمي به ذلك الذي يلعب الموسيقى وهو في الثانية من عمره او ذلك الذي يجيد خسر لغات ولا يبلغ الخامسة من عمره . يمثل هذا الطفل شاذ وولادته ادعى الى رثاء ابويه منها الى تنهئها ، لانه لم يولد طفلا وانما ولد شيخا مسنا اذا اعتبرنا فسيولوجية جسمه . فهؤلاء الاطفال يولدون ويهم بعض الغدد الدرقية نامية نمو كبيرا فتسرع في نمو جسمهم وعقلهم بحيث لا يفيض عليهم عشر سنوات حتى يبنونوا لانهم قد شاذوا ونفى جسمهم وهم بعد اطفال » .

وهذا القول يذكرني بما حدث لطفل صغير جددي ابا العلاء المعري بقوله : « الست القاتل » .

اني وان كنت الاخير زمانه

لات بها لم تستطعه الاوائل ؟

فقال : نعم . فاجابه الغلام : « ان الاولين وضعوا لك حروف الهجاء التي كونت منها كلمات اشعارك وعددها ٢٩ حرفا ، فهل يمكنك ان تأتي بحرف واحد فقط تزيدده على تلك الحروف بحيث لا يمكن الاستغناء عنه؟ »

فبهت ابو العلاء وقال ان هذا الطفل يسبق عقله عمره بكثير ولن يعيش اكثر من ايام قلائل .. ولقد كان !

ويقول فريق اخر من الروحانيين ان التجسد ليس هو الحل الوحيد لهذه الظاهرة . وان الالهام الرائي من عالم غير مادي الذي قد يتخذ احيانا صورة استحواذ خارجي قد يفسر لنا لغز بعض الاطفال الموهوبين الذين امكنهم في سن مبكرة جدا ان يتقنوا على الكبار في الموسيقى وفي اللغات وفي الرياضيات وفي غيرها (٦) . وليس هنا مجال المناظرة بين حجج كل من الثنائين بالتفسير الروحي والتفسير المادي ، لكن يكفي ان نلاحظ انه ليس هناك تعارض محتم بين النظريتين ..

معارضات البارودي

١٢٩٦ هـ ، فتكون جيلة القصائد التي نشرت فيه ظهرت قبل أن يبلغ البارودي أربعين عاماً (١) وهذا الذي ذهب إليه الأستاذ الدكتور محمد مبري صحيح ، ويؤيده أيضاً وبوضوحه أن هذه المعارضات فيها أخيلة رائعة ، وإساليبها قوية جيزة ، مبتنية ، تربية من إساليب فحول الشعراء العباسيين .

والبارودي لما ذهب إلى الآستانة - لضيق العيش في مصر - والتحق بوزارة الخارجية هناك ، استغل هذه الفرصة فتململ الفارسية والتركية ، وأخذ يتردد على مكتبات الآستانة ، فاستطاع أن يحصل على دواوين الشعراء العباسيين ومن سبقوهم من الإسلاميين والجاهليين ، واستنسخ الكثير من قصائدهم ، وحفظ منها ما وافقه ، وترك كل هذا أثره في شعره .

ثم إننا نلاحظ في المعارضات عنجية الشباب الأرستقراطي ، ذي الحسب والأصل المشرف ، وخلال الفارس الذي يمسك سيفه البتار بيد ، ويمسك باليد الأخرى ذن الراح ، ولكن الفخر لا تستولي على لسانه ، لأنه طموح يروى إلى مجد أثيل وحياة سامية لا حد لها ، وإلى جانب هذا فهو ضعيف أمام سلطان الهوى ، يعنو لحكيمه وهو الذي لم يحكمه امر .

يضاف إلى ما سبق أن في بعض المعارضات إشارات إلى بعض الحوادث والأبواب الجارية آنسذ - كإثارتها إلى ثورة عرابية مثلاً - في تصديقه التي عارض بها دالية المتنبي والتي سنتناولها بالتفصيل . وهنا يبرز هذا السؤال : ترى ما الذي حدا

بالبارودي لأن يطلع باب المعارضة ؟
لقد أطلع البارودي بمق على تراثنا الشعري القديم ، وكان حب هذا التراث الشعري يجري في دمه . فقرأه معجبا بالمثل العربية ، ونراه يتمثل إساليب القدماء ويحلو له أن يجري على مثوالها . روعا عنه أنه سكن بآه المنقوس المستحق للنسب مرة ، لمنهيه مديقه الشيخ حسين المرصفي إلى ذلك فقال : هو كذا في لسان العرب . وأندس عليه شعرا .

بحود سامي البارودي (١٨٣٨ - ١٩٠٤) هو ذلك الشاعر الكبير الذي بعث الشعر العربي من ركوده وانحطاطه ، إذ كان الشعر قبل البارودي عبارة عن مديح ورثاء ثقيل متكلف ، أو وصف أو لعب بالإلفاظ والمعاني على غير طائل . ولم تكن لغته بأحسن من معانيه : فقد كان ذلك الشعر - في معظمه - تركيب اللفظ ، ضعيف العبارة ، مملوءا باغلاط لغوية ، تفهده الصناعة اللغوية التي طغت عليه .

فزغ البارودي إلى الشعر العربي القديم في أزهى عصوره بقراده بتمعن ، وبخلف منه ما يستطيع . فتأثر بصياغته الأسرة ، وجزالة لفظه ، وقوة عبارته ، وأغرم به اغراما شديدا . نرى في هذا القارئ في شعره بوجه عام ، وفي مختاراته التي تضم عيونا لثلاثين شاعرا جاهليا وعباسيا . وفي معارضته من بعض الوجوه ، وهذا هو الموضوع الذي أريد أن أوقف عنده .

تملك البارودي ناصية اللغة لوفرة محفوظه وكثرة اطلاعه على الأدب القديم ، وأخذ يتصرف فيها تصرف الخبير بأسرارها ، المطبوع على التكلم بها ، يساعده في ذلك ملكة شعرية فذة وموهبة عقلية ، وعبر بذلك عما يجيش في نفسه ، بشعر قوي رصين ، جزل اللفاظ والتركيب ، لا يتصف في نظمه بل يأتي به في رفق ولين ، غير قلق أو مضطرب :

لم تبين قافية فيها على خلل

كلا ، ولم تختلف في وصفها الجمل

فلا سنداد ، ولا حشو ، ولا قلق

ولا سقوط ، ولا سهو ، ولا علل

لا تنكر الكاعب الحسنا ينطقه

ولا يعاد على قوم فيبتذل

أما قصائده التي عارض بها كبار شعراء العربية فالظاهر أنها من شعر الشباب ، « إذ أن الشيخ حسين المرصفي ، اختار هذه القصائد وذكرها في كتابه « الوسيلة الأدبية » الذي ظهرت طبعته الأولى سنة



بقلم

يحيى علي

ارودي

الى غير هذا من الاشعار الكثيرة في ذلك .

وقد وجد في المعارضة مجالا واسعا ليعرض قدرته على مجارة الشعراء القدماء ، وفي الوقت ذاته لان يظهر رغبته في التوفيق على الشعراء المعاصرين له . ونقطة اخرى جسد ذكرها الى جانب ما سبق وهي رغبته في ان يسبق القدماء انفسهم لانه لم يكن ينظر الى المعارضة على انها رياضة ذهنية او تجربة تعينه على استكمال افوائه الشعرية ، وانما كان ينظر اليها على انها بهارة شعرية (٢) .

وقد كانت نفس البارودي منطوية على همة رفيعة ، تصارع فيها صور المثل العليا للحياة الكريمة التي كان يبتغىها . فكان في ممارسته لهؤلاء الفحول الذين تسبوا بخصائهم قارى الجهد ، تحقيقا لجزء من سموه ورغبته في الخلود .

وتجديد ذكر المرء بعد وفاته

حياة له لا موت يلحقها بعد

وهؤلاء الفحول انما خلفتهم قصائدهم ، فليعمل مثلهم ، وليتسج على منوالهم ليلحق بهم فهم ليسوا باحسن منه موهبة وبقدرة .

نراه قد عارض ابا نواس في قصيدته التي مدح بها الخصب عامل الخراج بمصر من قبل هارون الرشيد .

اجارة بيتينا ابوك غيور

وميسور ما يرجى لديك عسير

عارضه بقصيدته التي مطلعها :

أبى الشوق الا ان يحن ضمير

وكل مشوق بالحنين جدير

وعارض قصيدته الميمية :

يا دار ما فعلت بك الايام

لم تبقي نك بشاشة تستام

ومن ذلك انه حذف حرف التثني في اسلوب القسم في قوله :

فقالله اتسى عهدى ما ترنيت

بنات الضحى بين الاراكاة والرنيد

لان لهذا اصلا في قول امرئ القيس :

فقلت يمين الله ابرح قاعدا

ولو قطعوا راسي لديك واصل

اي « لا ابرح » .

وقد ذكر وادى الغضا ووادي النقا ، ورد في شعره اسماء نباتات البادية كالزند والبان والاراك ، ووصف الناقة والفرس ، وبكى على الاخلال ، لان ذلك كان من مواضع القدماء الذين اظهروا تعلق بهم . وليس معنى هذا ان البارودي نهضة للشعراء القدماء ، فالحقيقة تنافي ذلك بما لا يدع مجالا للشك .

اعود فأقول : اذا كان شاعرا قد تعلق بالقدماء لهذه الدرجة ، فمن باب اولي ان يحاول تقليدهم في فن المعارضة الذي كان يبدو في دواوين بعضهم . ولكن هذا لم يكن كل الباعث الذي جعل البارودي ينطرق الى فن المعارضة فيجيد القول فيه ايما اجادة . فقد كان يتباهى كثيرا بشعره . وببقدرته على القول :

ملكمت مقاليد الكلام وحكمة

لهذا كوكب فخم الضياء منير

فلو كنت في عصر الكلام الذي انقضى

لباء بفضل جـرول وجريـر

وتارة اخرى يقول :

اقول طبع لست احتاج بعده

الى المهل المطروق والمنهج الوعر

ولي من جناتي ان عزمت ، ومقولي

سراج وعضب ، ذا بقي ، وذا يفرى

اذا جاش طبعي فاض بالدر منطقي

ولا عجب فالدر ينشأ في البحر

بتقصيدة مطلعها :

ذهب الصبا وتولت الأيام
فعلى الصبا وعلى الزمان سلام

وعارض قصيدة التنبني التي انشدتها في مدح
كافور سنة ٣٤٦ هـ :

أود من الأيام ما لا توده
وأي امرئ يبقو على الدهر زنده

وعارض أيضا قصيدة الشريف الرضي ، الشاعر
العباسي المكثر المجيد :

لغير العلامني القلا والتجنب
ولولا العلاما كنت في العيش أرغب

عارضها بقصيدته :

سواي بتحضان الاغاريد يطرب
وغيري بالبلذات يلهو ويعجب
وما اتسا من تاسر الخير ليله
ويملك سمعيه الفراغ المتعب
ولكن أخوهم اذا ما ترجعت
به سورة نحو العلام ، راح يذاب

كذلك عارض قصيدة أبي فراس الحمداني التي
قالها حينما اسره الروم ، وهي من روائع شعره :
أراك عصي الدمع شيمتك الصبر
أما للهوى نهى عليك ولا امر
بلى أنا مشتاق وعندي لوعة ،
ولكن مثلي لا يذاع له سر

عارضها بقصيدة يقول في مطلعها :

طربت وعادنتي الخيلة والسكر
وأصبحت لا بلوى بشيمتي الزجر

ومنها قوله مبتخرا :

واني امرؤ لولا الصوائق ادعنت
لسلطانه البدو المغفرة والحضر
من القفر الفس الذين سيوفهم
لهما في حواشي كل داجية فجر
إذا استل منا سيد غرب سيفه
تفرغت الاملاك ، والفت الدهر

وعارض أيضا قصيدة النابتة الذهباني التي قالها
في زوجة التعمان حينما سقط نصيفها ، فاستقرت
بيدها :

أهن آل مية رائح أو مغتدي
عجلان ذا زاد وغير مؤد

بتقصيدته التي مطلعها :

ظن الفئوس فبات غير موبد
حيران بكلا مستنبر القرقد

وتد سلك فيها يسالك العرب في ما كانت تمدح
به من مباشرة الحروب وارتياد المأبذ وركوب الخيل ،
وشرب الخمر والتشبيب بالنساء .
ومن لطيف ما فيها قوله منفزلا . وتظهر فيه
شخصية الفارس بجلاء :

يا اهل ذا البيت الرقيق مناره
ادعوكم يا قوم دعوة مقصد
اني فقدت اليوم بين ييوسكم
عقلي ، فردوه علي لاهتدي
او فاستقيدونني ببعض قبائكم
حتى ترد الي نفسي ، او ندي

ومعنى البيت الأخير : مكتوفي من اخذ القود من
بعض امائكم اللاتي سلبن عقلي حتى يردن الي نفسي
او يدفعن الدية جزاء لتقلبن نفسي البريئة !
وبهذا يكون البارودي قد « رد الى المعاصرين
بقصيدة القدرة على الاحتذاء بالشعراء العباسيين
والخفريين والجاهليين في ميدان اللغة والانساب » (٣)
والبارودي في معارضاته تلك « كان «مجازيا لا مقلدا» .
ومهما جشدها من الفاظ وتشبيهات قديمة فان آثار
التقليد سطحت » (٤)

وعواصم ذلك — اي الى محاكاة الانبياء —
التي يتقبل الإلهام والتراكيب ، بل لانه يستخدم البيان
العربي في الايضاح عن المعاني التي جالت بخاطر
والاغراض التي تنبع من حياته وبيئته وتجاريه ، وتتجلى
فيها شخصيته ، وما تطوى عليه نفسه . (٥)

وكانها البارودي في معارضاته « — التي هي
محاكاة مطبوعة ليس فيها من التقليد الا الرغبة فيه —
ممثل تقدير ليس دور الشاعر البدوي فؤاده لغة وشعورا
وزيا وحركة ، فخلقه خلقا جديدا وجعل له نبأنا من
نفسه وجيانه واصبح مبتكرا في الدور الذي اخذه ، كما
يبتكر الممثل في انتحال ادواره وابطلاله ، فهو فنان
خالق في ابتعاده كما يكون المراء فنانا خالقا في ابتداعه » (٦)

وترى الدكتور نفوسة زكريا : ان البارودي تفوق
على القدماء ووصل الى مستواهم ، ومع ذلك فهو
احق بالفضل من القدماء لانهم نظفوا قصائدهم في
عصور ازدهار اللغة العربية والشعر العربي ، اما
هو فقد نظم قصائده في عصر انحطاط اللغة العربية
والشعر العربي .

واري ان معارضات البارودي تطبيقات جيدة
لنله الاعلى في الشعر الجيد الذي عرفه في صدر ديوانه

وقد فهم بعض النقاد على أن في البيت تعريضا
بسيف الدولة .

ثم يخاطب كافورا قائلا :

الآن ليت يوم السرير يخبر حره
فتسأله ، واللبل يخبر برده
وليتك ترعائي وحيران معرض
تفعل أني من حسابك حده
واني إذا باتشرت امرا اريده
تدائن افاصيه وهان اشدده

ويستطرد في المديح حتى يصل الى قوله :

واني لفي بحر من الخير اصله
عطايك ارجو مدها وهي مده
وما رغبتني في عسجد استقيده
ولكنها في فخر استجده
يجود به من فضح الجود جوده
ويحده من يفضح الحد حوده

ليذكر صراحة مطلبه الذي جاء من اجله بعد
أن حرك اريحية مبدوحه ، وهز نفسه ، فهو لا
يرغب في ذهب أو مال ، ولكنه يرغب في فخر جديد
في ولاية .

أما قصيدة البارودي فانها تشتمل على هذه
الافراض :

١ - ذكر طبيعة الدنيا

رضيت من الدنيا بما لا اوده
واي امرء يقوى على الدهر زنده
احاول وصلا والصدود خصيه
وابغي وفاء والطبيعة ضده

وهو هنا قد استفاد من قول المتنبي ينعت فعل الايام
وخلق الدنيا :

يباعذن حبا يجتمعن ووصله
فكيف يحصب يجتبعن وصدده
ابي خلق الدنيا حببا تدنيه
فما طليل منها حببا نردده
واسرع مفعول فقلت تغيرا
تكلف شيء في طباعك ضده

ولكن « اذا تناول الشاعر المعاني التي قد
سبق اليها فابرزها في احسن من الكسوة التي عليها
لم يعجب ، بل وجب له فضل لطفه واحسانه فيه » (٨)
والبارودي — على كل حال — لم يأخذ معنى المتنبي
وانها استفاد منه بشكل واسع .

بقوله « وبعد » فان الشعر لمة خيالية يتلقى ويميشا في
سباسة الفكر ، فتنبعث اشعثها الى صحيفة القلب ،
فيغيش بالانها نورا يتصل خطمه باسلة اللسان ، فينتف
بالوان من الحكمة ينبلج بها الحالك ، ويهتدي بدليلها
السالك . وخر الكلام ما انتلفت الفاتحة وانتلفت معانيه ،
وكان قريب المأخذ ، بعيد المرمى ، سليما من وصية
التكلف ، بريئا من عشوة التمسك غيبا عن مراجعة
الفكرة — فهذه صفة الشعر الجيد . . .

وان شخصيته فيها واضحة ، واسلوبه ظاهر
لن تدرس به او وقف عليه ، ولا نراه مجرد مبتد شكلي ،
وان كان يأتي احيانا بنفس المعاني التي ذكرها الشاعر
الذي يعارضه ، وكأنه يدخل في روعه — على فترات —
انه لكي يبد القدياء فلا بد ان يذكر نفس معانيهم ولكن
بصورة مغايرة واسلوب احسن .

والان اريد ان اتناول — كنودج تطبيقي —
قصيدته التي عارض بها دالية المتنبي :

اود من اليباس ما لا توده

واشكو اليها بيتنا وهي جنده

يبدأ المتنبي بذكر خلق الزمان ، وكيف ان من طبعه
تفريق الاحبية . ثم يذكر الحسان اللواني تحملن فتتركن
الوادي كنياس موحشا بعد ان كان يزدان بهن ، كسا
يزدان الجيد بالعتد . وينعت بعد ذلك طبيين .

ثم يأتي على ذكر منه المعالجة التي جعلها بطيب
احوالا عظيمة .

ولما كان المتنبي قد رحل الى مصر وهو يحمل
آمالا عراضا في ان يوليه كافور اخي الخادم ،
فاننا نراه يذكر المال وكيف انه اساس المجد ، وأنه ينبغي
للانسان ان يدبره تدبرا حكيميا :

فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله

ولا مال في الدنيا لمن قل مجده

ولكن هناك من الناس من هو دنيء الهممة ،
يرضى بما تيسر من المعيش وليس له طموح واسع ،
اما قلبه فليس له غاية تنتهي عند المطلوب يجعل له
جدا . ثم يتخلص من ذلك الى مدح كافور ببيت يستشهد
به القدياء في حسن التخلص :

واضئ سلاح قلد المرء نفسه

رجاء ابي المسك الكريم وقصده

فيصف كافورا بالكرم وحسن الاختيار ، وبالفخر . ويمجد
على ذاكته تحمله الشقة في سبيل الوصول اليه ، وأنه
اختلف طبيب اصابه التي ذهبت :

تولى الصببا عني فاخلفت طيبه

وما ضرني ، لا رايتك ، قدده

٢ - وصف الحب والشكوى من تبايرج الفراق

ورأى البارودي في الحب - كما يفهم من هذه القصيدة - ومن غيرها من القصائد - له مظهران واضحا :

(أ) - ان الحب جبار يخضع له السلاطين ويعتو له الإبطال الصناديد .

(ب) ان الحب يمتص على الاشجان ويكون مصدر كآبة للقلب ، ومع ذلك فالمرء يتملق به :

وحول هذين المعنيين صاغ البارودي قصائد هي آية في الروعة والجمال . وبما بلغت النظر في شكوى البارودي من الحب في هذه القصيدة قوله :

وما الحب الا حاكم غير عادل

إذا رام أمرا لم يجد من يصدده

نفرد الى الخاطر انه يرمز بذلك الى نساد الحكم في عهده ، وبنيته الإذعان على جور الحاكم وتفرد به بالحكم . وليس هذا يستبعد فان البارودي عاش في فترة سياسية حرجية - لا مجال للخوض فيها هنا - وانما يهمنا ان اشر الى ما تخضعت عنه سياسة اسماعيل المالية من عواقب وخيبة ، والى حركة الجيش - الاولى والثانية - بقيادة احمد عرابي ، والى حيلة المتفكرين من ابقاء مصر على سياسة اسماعيل واعلى الاستعمار . فآخذ الشيخ محمد عوده - علي - بجيل المثال - ينتقد الحاكم المستبد في جريدة الوقائع الحكومية ويقول : « ان الحاكم وان وجبت طاقته - هو من اضر الذين يخطئون وتغلبهم شهواتهم ، ولا يرد عن خطئته ولا يقف ملغيان شهوته الا تمنح الالة له بالقول والتفعل » .

٣ - شكوى الشبيب

وقد استغل البارودي هذا الموقف فاعاد على اذهاننا - ما ذكره في مواضع اخرى - من انه لا يوجد صديق يخلص في الدنيا (١) ، وخاصة لان الشبيب وقد حل به الان .

ولكنه هنا يعتذر عن الاصدقاء فيقول انه لا يلوم الناس في نقض العهد والاخلال بالوفاء بعدما رأى شبيباه يصاحبه زمانا طويلا ثم ينقض عهده ويفارده :

لمعري لقد ولي الشبيب وحل بي

من الشبيب خطب لا يطاق مرده

فاني نعيم في الزمان ارومه ؟

واي خليل للوفاء اعدده

وكيف الوهم الناس في الغدر بعدما

رايت شبيباني قد تغير عهده

٤ - شكوى الاصدقاء وقلة الوفاء في الناس

وهذه الشكوى في الواقع - كما بينت طرقا منها - استطراد من الفكرة السابقة :

صحبت بني الدنيا طويلا فلم اجد

خليلا ، فهل من صاحب استجده ؟

فاكثر من لاقيت لم يصف قلبه

واصدق من واليت لم يفن وده

اطالب ايامي بما ليس عندها

ومن طلب المصدوم اعياء وجده

٥ - ضروب من الحكم

وهي لا تراكب بينها في الواقع ، نبيينا هو يتول بعد تلك الابيات التي انشدتها قبل قليل :

فما كل حي ينصر القول فعلمه
وما كل حل يصدق القيص وعده

يقول بعده مباشرة : ان آلم ما تلقاه في زمانك صحبة لنيم يشفيك بعده وفقده . ثم يرجع ويقول بعده مباشرة :

وللتج اسباب اذا لم يفز بها
لييب من القيان لم يور زنده

٦ - شيء من الهجاء

وهو في الحقيقة ليس هجاء بقدر ما هو حسرات يشكوها الشاعر لغيره وتقلب طباع الناس . وحسبك ان تذكر ان يهيج المصريين رجوا جهلا او انخداعا « بخسول الفاتحين » ، وان حب الانتقام دفع بعض الكبراء الى ارسال الخدم الشرksen وغيرهم ليهينوا ويزعجوا زعماء الثورة في سجوتهم صباح مساء . ولعل البارودي اشار الى ذلك في قوله وهو في المنفى :

وما انا بالمفلوب دون مرايه
ولكنه قد يخذل المرء جهده
ابي الدهر الا يسود وضيعه
ويملك اعناق المطالب وعده
تداعت لحدرك التار فينا ثعالة
ونابت على طول الوتيرة اسده (١٠)

٧ - الحضي على دفع الظلم

وهذا يأتي انتقالا طبيعيا من الفكرة السابقة :

علام يعيش المرء في الدهر خاملا
أفترج في الدنيا بيوم يعمده
يرى الضيم يغشاه فيلذ وقعه
كذي جرب يلذ بالحك جلده
عفا على الدنيا اذا المرء لم يعيش
بها بطلا يحيي الحقيقة شده

في تلك المواطن — من خشونة بأسه على ترف نشاته ولطف حسه» .

يتفتح لنا من عرض النموذج السابق ان البارودي لم يكن في معارضاته مجرد مقلد يجاري القدماء ، فان معارضاته — التي احبب بها الشعر العربي — نابضة بروحه : روح الجندي الشجاع ، والشخصية الخطيرة ، والشاعر المعبري .



- (١) الدكتور محمد صبري : ادب وتاريخ واجتماع ص ٢٦ . القاهرة ١٩٥٠ .
- (٢) هذه الاسباب التي ذكرتها استقيت اصولها من محاضرات اساتذتي الدكتوروة نفوسة زكريا بن البارودي .
- (٣) عباس محمود العقاد : شعراء مصر وبيناتهم ص ١٢٨ . الطبعة الثانية .
- (٤) محمد صبري : ادب وتاريخ ص ٢٦ .
- (٥) عبدالمجيد حسن : صفحات من الادب المصري ص ١٩٧ . الطبعة الاولى .
- (٦) العقاد : شعراء مصر وبيناتهم ص ١٢٢ .
- (٧) العبيدي : الصبح المبني عن حيلة المنبي ص ١١٢ . بتحقيق مصطفى السقا وآخرين .
- (٨) ابن طباطبا : عيار الشعر ص ٧٦ بتحقيق د. طه الحاجري ود. محمد زغلول سلام . القاهرة ١٩٥٦ .
- (٩) من تلك تولد :
فانقش بيديك من الزمان واهله
فانقش في طلب الصديق جواء

وتوله :

وعش فردا غدا في الناس خل
يسرك في مصاد وانفساب

وتوله :

يلوت بني الدنيا ظم ار صافقا
فاين — لعمري — الاكروم الاصادق ؟

وتوله :

اتنا في زمان غادر ومعاشر
يتلونون للسون الحرياء

احدا غيب ليس يسلم صاحب
نهم ، واخسوة بخضر ورشاء

وتوله :

يلوت اضاء القاس دغرا ظم اجد
اذا نقية برعى مفيهي كحفري

وتوله :

يلوت بني الدنيا ظم ار صاحبا
يدوم على ود بغير تكلف

وغير ذلك كثير ..

(١٠) ادب وتاريخ ص ٢٦ ، والنمائل : التعلب . والوتيرة : الثائر

(١١) ادب وتاريخ واجتماع ص ٢٦

(١٢) شعراء مصر وبيناتهم ص ١٢٦ . الطبعة الثانية .

من العار ان يرضى الفنى ببذلة

وفي السيف ما يكفي لامر يعدة

ولو قرانا الابيات مرة اخرى ، وتحصنا فيها يتمحنا به الشاعر لراينا روح الفارس ، ونفسية البطل المحارب تبدو فيه بجلاء .

٨ — التمدح باباء الضيم وكرم المحتد وبعد الهمة

«اذا دققنا النظر في مصادر هذا الإباء وجدناها ثلاثة :

اولها : اصل البارودي وحسبه

ثانيها : النعرة العربية التي ورثها الشاعر عن العرب الذين درس شعرهم .

ثالثها : كبرياء حامل السيف «(١١)

وظاهرة التمدح باباء الضيم وبعد الهمة من اخص خلائق ذوي الاصل الشريف ، والفارسان المطبوعين على حب الشدة والتزال . « ومن انطباع البارودي على الجنديية وحب القوة والبلى انه لم يذكر من حشرات البيت الذي مارسته ابوه في طفولته الا ان يكون غير مرهوب الإبراق والارعاد بين الخسوم :

مضى وخلفني في سن سابعة

لا يرهب الخصم ابراقى وارعادي

فهو لا يرى من حشرات الحياة في السبا والشباب حشرة اتلعج في النفس من فقد التوة واستباحة الذئبة «(١٢)

٩ — واخيرا

تنتهي القصيدة بابيات يهدد فيها الشاعر اعداءه ويوعدهم بيوم شديد اليأس :

ولا بد من يوم تلاعب بالقتا

اسود الوغى فيه وتبرح جرده

يقرق اسنار النواظر برقه

ويقرع اصداغ المسامع رعه

تدبر احكام الطمان كهوله

وتملك تصريف الاعنة مرده

قلوب الرجبال المستبدة اكله

وقيض الدماء المستهلة ورده

احمل صدر التصل فيه سريرة

تصد لامر لا يحاول رده

فاما حياة مثل ما تشتهي الملا

واما ردى تشفي من الداء وفده

ويمين بشاعر مثل البارودي ان يقول مثل هذا الكلام ، لانه كان فارسا شجاعا وبطلا مغورا . قال عنه صديقه الشيخ حسين الرضوي « وقد باشر هذا الامير الحرب مرتين بصديق وشهابة وعلو همة ، حتى ان الناس كانوا يتمجبون — كما اخبرني من حضره



شعر
جميل
علّوش

غُرْبَة وَحْنِين

قد حقق الخصم احلاما فما طرف
عين ولا زأغ عن تحديق به بصر
الصامدون فبالا شكوى ولا ألسم
والصابون فلا خوف ولا دُعُور
بنا قضائنا غلغل حق لهم سكنوا
كانهم بحلال الخطب ما شعروا
تعدّوا الفج حنى ما يؤزّقم
هم ولا يتحدى صمتهم عطر
كم غلّونا بنار ثم أفرعهم
طيف المنون فما هبوا ولا ناروا
تراهم كلما صاح الأباء بهم
تلقّوا برداء الذل واذلّروا
تمزّق الوطن الفسائي فما وثبوا
ودمدم الدّم موتورا فما تقفروا
وباتر كان يزهر في سواعدهم
قد عاد وهو كليل الحد منبر
قد آمنوا برباط من عروبتهم
واذ أهابت بهم مهوّة كفروا
ضاعت فلسطين لم تنس لهم شقة
ولم يهزمه الايئاس والخذر

غفوا اذا مس وحي الشاعر الحضر
لم يبق للشعر في قبضاره وتسر
بعد الفراديس والجنات زاهية
يخلو لنا الفرج أم يخلو لنا السمر
غنا بليل كليب الظل محتبك
تلقّع النجم فيه وانزوى القمر
لا أمنا ضاحك بالبشر ميمم
ولا غد بالأماني وارف نصير
تلك البروق التي كانت تخادعنا
وأبناها بكيف الغيم تستر
فلا يغث بنا وعد يزوقه
كما تشاء الأماني سانس حذر
خير من الوهم موشيا وملتمعا
ياس يطير به في الاعين الشرر
هذى التهاويل غفناها متمقة
وميتها في البلاد البدو والحضر
فما تصبّخ فبا في بلدة اذن
ولا يطن بها في موطن خير
الكبرياء تهاوت من مشارفها
فجيم يا قوم هذا التيه والصعر

أرض تفيض بها النعمى مقدسة
والخير من جنبات الصخر يتفجر
في كل رابية ضاف المسح بها
نعمى ترف على الدنيا وتنتشر

● ● ●

أهبت بالشعر فاستعصى وتنت اذا
أهبت بهمى كما أهوى وينهمر
تجمدت دفتات الشوق في خلدى
كأنما مهنى في صمته خلد
لم يبق في الأمر مخفى فأكشفه
حتى يطاوعني طرف ومبتكر
قضية كشعاع الشمس واضحة
ما في جوانبها خفاف ومتر
لن يصنع الشعر إعجازاً ولا عجباً
وخاب مرتقب إذا ومتنظر
وانما هي آهات نبث بها
ما في الضلوع من الأشجان يستعر
كدم في فلسطين من طيف يراودني
ومن خيان السي عني ينتدر
أرض المنان كم في فيجها يرحل
نفس وكهم همام في آفاقها ينظر
غيتها خبير أشعارى وأزورها
ولا يزال فسا في خاطرى وطور
إذا استعادت خيالاني مفاتيها
يكاد قلبي من الأشواق ينصهر
مهده الطفولة ما في صفوها رفق
على القواد ولا في نبعها كدر

من فرط شوقي لوادبها وربوتها
يكاد يزهر في عيني بها الحجر
وما حنيني لأبام بأربعها
من في البها بورد ما له صلد
يبث فيها الشدا فجبر وأمية
وينثر الطيب في آفاقها السحر
لو عدت أنعم في زاهي مراتبها
لعاد غصبا شابي وازدهى العمر
حب العليل سوبعاص تظلكه
فيها العصون ويخنو فوقه الشجر

يا للذرى الشم للبارى مسبعة
تعلسو مع الغيم أحيانا وتنحدر
ويا فلسطين لدم تسرح غيلتي
الا قلبي من الآلام معتصر
في رنة الكأس ناقوس يحدثنى
كم من شهيد على تلك الرى جذروا
في كل مصرع حشر كعبة شمت
تسبح فيها أمانتنا ونعمر
تاريخ مجدهك آيات نرتلها
ونعم ما خط أبطال وما سطروا
« يافا » على مضض الأمدار صابرة
والقدس لا شسر الغارات تنغمس
هل من معاد إلى يافا وشاطئها
وكل ذنب جنسها الدهر مغتر
هذى الجموع التي أودى بمعظمها
على دروب الجهاد الغدر والخسور
أغضت على السدل لا حرت ولا نفعت
ما قيمة العيش لا نفع ولا ضرر
ألوت ربيعة عنها لا تعاضدها
كما أشاحت عن استصراخها مضر
أين العسيرة يبقى من ملاحمها
في خاطر الدهر بما أبدعت صور
أخلد في حلل الغارات ميتهم
والمجد مما يرى ثلوان منتصر
وقد بصد حشودا منهمو بطل
ويترد بلادا في الوغى نفس
تتملح الحسرب حتى أنها غزل
ويعشق الموت حتى أنه سفير
لا يحبسون حبابا في شهادتهم
هش النعم ذم أو قطعت سقر

في كل يسوم لنا ● ● ● شوري وجموع
وكل ساحسة حشد وموتمر
أتستعاد فلسطين وجيرتها
على سلامة من يخلتها سهروا
ففى مساندة العدوان قد سدروا
وفي مغازلة الطغيان قد سكروا
مما للتعالب يطغى في جوانبها
حقق ويخال في اعطافها بطر

لم تبرح القديس في الأقياد راسفة

ففسح بشمع صلبه وفتخر

أفندي الأرض منبوذ ومضطهد

وبائع الأرض محطّي ومعتبر

يبعون معركة التحرير زمزمة

على الأثير وغربا ماله ثمر

يا أخوتي وسباط الظلم تسعنا

والبغي بأخذ منا فوق ما يذر

أقول والألسم المتوار يحقنني

وغصة من حنايب الصدر تنفجر

لا تحبوا ثورة التحرير هينة

فكم دم في هواها سوف ينهمر

من دون يافا وحيثما كل مجزرة

حمرء تزدرد القتلى وتهتصر

ولن تعبد فلطينا بطولتها

فإنها لعطاء العرب تفتقر

بقوة العرب تذبذو كل قاصية

من الأماني ويرجي النصر والغفر

ويسرد شمر يد مهتد صوته

ويبلغ الدار مغلوب ومنحدر

لا نقطن إذا ما نكبة أزمت

فقد يفوز بطيب العيش مصطر

هذي القيود التي تدمي معاصنا

لا بد يوما على الأقدام تنكسر

الارباب تصدر في مطبع كل شهر

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

يساهم في تحريرها ادباء العربية من
المخليج الى المحيط

تحمل اليكم الانباء الثقافية
والادبية في العالم العربي

لوحة الغلاف بعنوان "القمر الأحمر"
- للفنان مسعود فهد -

الشاعر المجاهد المنيب

ابوسفيان بن الحارث

بقلم الدكتور : أحمد الشرباصي

بشر الرسول بالدعوة الهادية نفر هذا القريب منها ،
وأعرض عنها ، وخرج على النبي وعاداه أشد العداء ،
ثم نشاء له غناية الله بعد ذلك ما نشاء من الإهداء ،
ورسك يخلق ما يشاء ويختار .

انه الصحابي المجاهد ابو سفيان المخيرة (١) بن
الحارث بن عبدالمطلب بن هاشم ، وهو ابي عم الرسول
صلوات الله وسلامه عليه ، واخوه في الرضاع ،
أرضعتهما حليمة السعدية ، وكان ابو سفيان شاعرا ،
فلمّا ظهر الاسلام لم يستجب له ، واخذ يهجو النبي
صلى الله عليه وسلم بتصادف شديدة من شعره الكافر (٢)
ونزل على ذلك سنوات وسنوات :

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة

على النفس من وقع الحسام المهند

ولقد روى الأصفهاني في « الاغانى » ان محمداً بن
سيرين قال : كان يهجو رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثلاثة رهط من قريش (٣) : عبدالله بن الزبيري ،
وابو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وعسرو بن
العاص ، فقال قائل لملي بن ابي طالب رضوان الله
عليه : اهج عنا القوم الذين تد هجونا .

فقال علي رضي الله عنه : ان اذن لي رسول الله
صلى الله عليه وسلم فمعت .

فقال رجل : يا رسول الله ، اذن لملي كي يهجو
عنا هؤلاء القوم الذين هجونا .

قال : ليس هناك . او : ليس عنده ذلك .

ثم قال النبي للانتصار : ما يمنع القوم الذين نصروا
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بسلاحهم ان
ينصروه بالسنتهم .

فقال حسان بن ثابت : انا لها . واخذ بطرقت
لسانه وقال : والله ما يبرئني به ويقول (٤) بين بصرى
وصنعاء .

حينما تاذنت رحمة الله تعالى بهداية العالمين ، عن
طريق الاسلام دينه الخاتم الدائم ، وانزل على رسوله
محمداً صلى الله عليه وسلم قوله : « وانذر عشيرتك
الاقربين » كان هذا تقريراً عن الله سبحانه بان اساس
التفضيل والتقديم عند الله ليس الانساب ولا القرابات ،
وانها الامر كما قال القرآن المجيد : « ان اكرمكم عند
الله اتقاكم » .

وما اروع الرسول حين يقرر هذه الحقيقة لاهله
وذوي قرابته ، فيقول لهم : « يا آل محمد ، لا ياتيني
الناس بالاعمال ، وتأتوني بالانساب ، اعملوا فاني
لا أغني عنكم من الله شيئاً » .

ولقد اختلفت الاحوال بهؤلاء الاقارب اختلفا بينما
فمنهم من استجاب وانساب ، بلا تردد او ارتياب ،
ومنهم من اعرض عن الرسول ونفر منه ، واشر على
عساده وكفراته ، ومنهم من عادى النبي في اول الامر ،
واستمر على عدوانه حيناً قليلاً او طويلاً من الزمان ، ثم
ادركته عناية الله ، فاهتدى الى سواء السبيل ، واقبل
يكفر بابائته وجهاده عما ارتكبه في ايام جحوده
وكفراته ، وصق في توبته ، فمن الله عليه بمقرته ،
وختم له بخاتمة السعادة ، فقبضه على الاسلام ، ونلك
هي الخاتمة الطيبة التي ينبغي ان يتطلع اليها كل عاقل ،
وان يسمى نحوها كل مقصر ، حتى يثقل نفسه قبل نوات
الآوان ، وحتى يكون من المستجيبين لقول الحق جل
جلاله : « يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ، ولا
توتون الا وانتم مسلمون ، واعتصموا بحبل الله جميعا
ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف
بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا ، وكنتم على شفا
حفرة من النار فانقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته
لعلكم تهتدون » .

وهذا واحد من قرابة رسول الله صلى الله عليه
وسلم - ينشأ في صباه رفيقاً للنبي ومتودداً اليه ، فلمّا

عك أبو سفيان بن الحارث غارض عنه .
فقال النبي : قد فعلت ، فغفر الله كل عداوة
عادتها .

وقال أبو سفيان بن شعرة يوم حنين :

ان ابن عم المرء من اعمامه
بني ابيه ، قوة من قدامه
فان هذا اليوم من ايامه
يقاتل الحربي عن احرامه
يقاتل المسلم عن اسلامه

وكذلك قال :

لقد علمت اقضاء كعب وعامر
عداة حنين حين عم التضعضع
باتي اخو الهجاء اركب حدما
اسم رسول الله لا انتفع
رجاء ثواب الله ، والله واسع
اليه تعالى كل امر سرجع

لقد آمن شعر أبي سفيان بعد طول كفران . . .
والعجيب ان ابا سفيان كان له اخ سبقه الى
الاسلام ، واسمه « نوفل بن الحارث » وقد ترجم له
ابن سعد في الطبقات ، وكان نوفل شاعرا ، وكانت
انفاسه في الشعر قريبة من انفاس اخيه ، فمن شعر
نوفل قوله :

حرام علي حرب احمد ، انني
ارى احيدا بني قريبا اواصره
وان تك فخر البست وتجمعت
عليه فان الله لا شك ناصره

وقال نوفل بعد ان اسلم موجه حديثه الى
المشركين :

اليكم اليكم ، انني لست منكم
تسرات من دين التسيخ الاكابر
لمعرك ما ديني بشيء ابيعه
وما انا اذ اسلمت يوما بكافر
شهدت على ان النبي محمدا
اتي بالهدى من ربه والبصائر
وان رسول الله يدعو الى التقى
وان رسول الله ليس بشاعر
على ذاك احيا ، ثم ابعت موقنا
واثوى عليه ميتا في المقابر

ومع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عفا
عن ابي سفيان وغفر له ، وامر عليا باعلان ذلك بين
الناس ، ظل أبو سفيان بعد ذلك لا يستطيع ان يرفع

فقال له النبي : كيف تهجوهم وانا منهم ؟
قال حسان : اني املك منهم كما تملك الشعرة من
العجين .

فكان ثلاثة من الانصار يهجون المشركين ، وهم
حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبدالله بن رواحة ،
فكان حسان وكعب يعارضان المشركين بمثل قولهم
بالوقائع والايام والماثر ، ويعبرونهم بالمثالب ، وكان
عبدالله بن رواحة يعبرهم بالكفر (هـ) .

ثم ان لليباضي ان يرتدع ، وللضال ان يهتدي ،
فاضاعت شملة الايمان في صدر ابي سفيان بن الحارث
تقبل فتح مكة ، وتوجه الى الرسول عليه الصلاة
والسلام ليعلن اسلامه ، بعد تلك العداوة الشديدة
الشرسة المبرقة ، فلما صار امام وجهه ، وعرقه الرسول
اعرض عنه بوجهه ، فتحول ابو سفيان حتى صار
في مواجهة الرسول ، فاعرض عنه الرسول مرة ثانية .
وحق له ان يفعل ، فانها عداوة عشرين عاما
اسرف فيها ابو سفيان اسرافا مبيها . وعلمت ام
المؤمنين السيدة ام سلمة بالامر ، فتشجعت رضى الله
عنها عند رسول الله صلوات الله وسلامه عليه (٦) .
واخذ ابو سفيان يردد كلمة الشهادة ، ويعتذر الى
الرسول ، فغصا عنه وقبل منه ، وقال لابي عبد الله
يا علي ، بصر ابن عك الوضوء والفتنة ، ورجع به الى
(اي عذبه) .

فعمل علي ما امر به ، وحسن السلام بين المؤمنين
واخلص لله دينه (٧) ، فامر الرسول عليا بان ينساذي
في الناس قائلا : الا ان الله ورسوله قد رضيا عن ابي
سفيان بن الحارث فارضوا عنه .

وبدا ابو سفيان مرحلة التكفير والتطهير ، فاقبل
يهجو الشرك واهله ، مقابل هجو المسلمين بالامس ،
وشهد مع رسول الله غزوة فتح مكة ، وغزوة حنين ،
وغزوة الطائف ، وكان ممن ثبت — ومعهم ابنه جعفر —
الى جوار النبي في غزوة حنين عندما انكشف عنه من
انكشف من الناس . ولقد سئل البراء غليل له : يا ابا
عبارة ، اؤتيكم يوم حنين ؟ فاجاب : اشهد ان نبي الله
صلى الله عليه وسلم لم يول يومئذ ، كان يقود بغلته
ابو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب ، فلما غشيه
المشركون نزل فجعل يقول :

انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب

ولقد كانت غزوة حنين درسا قاسيا للمسلمين ،
ولكن ابا سفيان شعر سيفه ، وجعل يدافع به عن
رسول الله ، ويدينه بنفسه ، وراى العباسي هذا الصنيع ،
فقال للنبي معجبا : يا رسول الله ، هذا اخوك وابن

أسلمت» ومعنى «لم انتطف» : لم اطلخ بعيب ، ولم
انهم بريئة ، أي لم يرتكب ذنباً منذ إسلامه .

ومن عجيب ما حدث أنه تولى حفر قبره بنفسه .
وكان أخوه نوحس بن الحارث قد مات قبله بقليل ،
فدعا أبو سفيان فقال : « اللهم لا تبقي بعد رسول
الله صلى الله عليه وسلم ولا بعد أخي ، واتبعني
أيها » .

واستجاب الله دعاه ، فمات بن يومه ستة وخمس
عشرة (١٢) للحارث بسبب جرحه ، فكانوا يقولون : أنه
مات شهيداً . وصلى عليه عمر بن الخطاب ، ودفن في
مقبرة البقيع .

وجاء في رواية أن عقيل بن أبي طالب رأى أبا
سفيان بن الحارث يجرل في المسائر ، فقال له :
يا ابن عمي ، ما لي أراك هنا ؟ فقال : اطلب موضع
قبري . فدخله داره ، وأمره بأن يحفر في قاعها قبراً ،
فغسل ، فقمع عليه أبو سفيان ساعة ثم انصرف ، فلم
يلبث إلا يومين حتى مات ، فدفن فيه (١٣) .

رضوان الله على الصحابي الشاعر المنيب المجاهد
أبي سفيان بن الحارث .

رأسه في وجه الرسول الأكرم حياء منه ، وواصل
التكفير عن ما فيه بكثرة الصيام والسلاة والعبادة
والجهاد ، وتغيرت حاله تغيراً كلياً ، فقد محصه
الإخلاص تجميعاً ، وظهرته التوبة الصادقة تظهيراً ،
وأعزته التقوى أعزازاً ، وشرفه صدق الكفاح تشريفاً ،
وواصل الكفاح بلسانه وسنانه وجنانه ، حتى قال
فيه الرسول صلى الله عليه وسلم : « أبو سفيان أخي
وخير أهلي ، وقد أعقبني الله من حمزة بن عبد المطلب
أبا سفيان بن الحارث » . ولذلك كان يقال لأبي سفيان
بعد ذلك أنه « أسد الله وأسد الرسول (أ) » .

ولكن ذلك لم يشتهر بين الناس كما اشتهر مثله
عن سيد الشهداء حمزه وضوان الله عليه . وكذلك يروى
أن الرسول قال فيه : « أبو سفيان بن الحارث سيد
فتيان أهل الجنة (٩) » .

ولذلك حزن أبو سفيان حزناً شديداً حينما توفي
رسول الله . وقال فيه رثاء بلغنا منه قوله :

ارتقت قبات ليلى لا يزول

وليل أخي المصيبة فيه طول

واسعدني البكاء ، وذلك فيما

أصيب المسلمون به قليل

لقد عظمت مصيبتنا وجلت

عنتية قيل قد قبض الرسول

واضحت أرضنا مما عراها

تكد بنا جوانبها قبيل

فقدنا الوحي والتنزيل فيما

يروح به ويفقدو حيرتيل

وذاك أحق ما سألت عليه

نفوس الناس ، أو كادت تسيل

نبي كان يجلو الشك عنا

بما يوحى إليه و ما يقول

ويهدينا فلا نخشى ضلالا

علينا ، والرسول لنا دليل

أقاطم أن جزعت فذاك عذر

وأن لم تجزعي ذاك السبيل

فقبر أبيك بسيد كل قبر

وفيه سيد الناس الرسول (١٠)

وتوالت المنون بعد وفاة رسول الله عليه السلاة
والسلام ، وأبو سفيان بن الحارث يوالي خطوانه في
سبيل الخير والبر والنسأل ، ويبنيها كان يؤدي الحج
أزديداً من الطاعة ، أصيب بجرح في رأسه ، وكان
سبب موته بعد أيام (١١) . وكان يقول قبيل وفاته
لاهله : « لا تنكوا علي فاني لم انتطف بعتيئة منذ

(١) قيل إن اسمه هو « المفرة » ، وقيل إن كنيته هي اسمه ،
والله في غزوة تبث تيس بن طريف .

(٢) يذكر ابن سعد في الطبقات أنه كان مباعداً للإسلام شديداً على
من دخل فيه (ج ٤ ص ٢٦) ويذكر ابن عبد البر في كتابه «الندرة»
أنه كان من المجاهرين بالعداوة والظلم لرسول الله (ص ٤٦) .

(٣) زاد في أسد الغصابه رابعاً هو ضرار بن الخطاب .

(٤) انقول : اللسان .

(٥) الأتاني ، ج ٤ ص ١٢٧ طبعة دار الكتب المصرية .

(٦) كتاب الندرة ، ص ٢٢٨ .

(٧) يقول عنه ابن كثير في البداية والنهاية : « أسلم عام الفتح
فحسن إسلامه جداً » ج ٧ ص ١٠٢ .

(٨) الطبقات الكبرى لابن سعد (ج ٤ ص ٢٠٦) . وجاء في البداية
والنهاية لابن كثير أنه يروي أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم أحب أبا سفيان بن الحارث ، وشهد له بالجنة ، وقال له :

«أرجو أن تكون خلفاً من حمزة » ج ٧ ص ١٠٢ .

(٩) الإصابة ، ج ٤ ص ٩٠ والطبقات ج ٤ ص ٢٦ .

(١٠) السيرة النبوية لابن كثير ، ج ٤ ص ٥٥٨ .

(١١) يروي أنه كان في « بني » فخلع له الحلاق ، ففطع له ثوباً كان
في رأسه فمات منه ، والثؤلؤل البثر الذي يطفح على الجلد .

(١٢) وقيل : نولي سنة عشرين .

(١٣) الإصابة ، ج ٤ ص ٩١ .

من رواد أدبنا المعاصر

ذاع صيته في العالم العربي كمؤرخ ثبت واسع
الإنق . ومؤيّن راسخ الأيمان بالقومية العربية . وكعلم
بارز من اعلام الوعي القومي في دنيا العرب .
ولأبحاثه بحق إلمه في الحياة . وقدرتها على أن
تخرج الحياة الأفضل . دوى سونه في العالم العربي
واحبه لتلاميذه الذين يحضوه الود والإعجاب برجاحته
عقله . وتوقّد ذهنه . وإلماه بالقضايا والمشكلات التي
يواجهها العالم العربي من المحيط إلى الخليج .
ولقد امتازت حياة الدكتور زريق بالتجارات ضخمة
منها انه حصل على الدكتوراه في الفلسفة من جامعة
برنستون في الولايات المتحدة وعمره إحدى وعشرون
سنة وعلى لقب « استاذ مميز » وعضوية المجلس
الدولي الذي انشيانه منظمة اليونسكو لوضع تاريخ
علمي ثقافي للإنسانية . وهو رجل جم الفواضل يحب
أن يتكلم عن نفسه . ويمكن أجال وصفه بالقول انه
بحساسة ومرب واداري ودبلوماسي ورجل فكر ورائد
من رواد القومية العربية .



ولد الدكتور زريق في دمشق عام ١٩٠٩ وأنهى
دراسه الابتدائية والثانوية في المدرسة الارثوذكسية
بدمشق والتحق بالقسم الاستعدادي في الجامعة الأميركية
عام ١٩٢٢ . وهو العام الذي تسلم فيه بيارد دودج
رئيساً . وبمدرسة زريق دراسته في حقل الرياضيات
والفلسفة . فالتحق الى دراسة التاريخ وتخرج بدرجة
بكتوربوس بائناز عام ١٩٢٨ . وفي العام التالي حصل
على شهادة الماجستير من معهد الدراسات الشرقية
بجامعة شيكاغو ثم التحق بجامعة برنستون حيث أنهى
مقررات الدكتوراه في عام واحد على يد الدكتور
فيليب حتى فخره عام ١٩٣٠ وكان . وشوغ الاطروحة
التي قدمها « الفلسفة الاخلاقية الإسلامية » حسب ما
جاء في كتاب « تهذيب الاخلاق لابن مسكويه .
واسمح الدكتور زريق استاذاً مساعداً للتاريخ
في الجامعة الأميركية ببيروت بين ١٩٣٠ - ٤٢ حيث رقى
الى رتبة استاذ مشارك . وبعد أن نالت سورية
استقلالها عام ١٩٤٥ عين الدكتور زريق مستشاراً اول
في السفارة السورية بواشنطن فقاتلها باعبالها فوزيراً
مفوضاً هناك . وبين عامي ١٩٤٦ و ٤٧ عمل ايضاً
مندوباً لسورية لدى الجمعية الميموية للامم المتحدة ،
ومندوباً مناوبا للسياسي العربي المرحوم فارس الخوري
لدى مجلس الامن .

وفي عام ١٩٤٧ عاد الى الجامعة الأميركية في
بيروت نائباً لرئيس الجامعة . وبعد سنتين كلّفه
سورية أن يكون رئيساً للجامعة السورية بدمشق حيث
شغل هذا المنصب حتى عام ١٩٥٢ وعاد الى بيروت



الدكتور قسطنطين زريق

بقلم : البندوي الملم

نائبا لرئيس الجامعة الاميركية وعييدا لكتابها ورئيسا
لادارة التاريخ فيها .

وعند وفاة رئيس الجامعة الاسبق الدكتور بنروز
عام ١٩٥٤ عين الدكتور زريق رئيسا بالوكالة حتى
عام ١٩٥٧ حين حصل بلب « استاذ مميز » الذي ما
زال يحمله في خديسه للجامعة الاميركية .

والدكتور زريق عضو عامل ورئيس لكتير من
منظمات الثقافة والبحث . فهو عضو مراسل للمجمع
العلمي العربي بدمشق والمجمع العلمي العربي في بغداد
وعضو فخري « مدى الحياة » في الجمعية الاميركية
للتاريخ . وكان بين ١٩٥٠ و٥٥ عضوا في المجلس
التنفيذي لليونسكو . وعضوا في المجلس الدولي لوضع
تاريخ علمي تنساقا للشرية . ومهمة هذا المجلس الذي
انشأه وتبنياه منظمة اليونسكو كتابة ونشر تاريخ
التطور البشري من خلال العلم والثقافة ومنجزاتها
الاجابية على يد مختلف شعوب العالم وبفضل تفاعل
حضراتها . وكان لهذا المجلس فضل ايجاد التعارف
وتقسام الصلات بين العديد من كبار المؤرخين من
مختلف الجنسيات والمذاهب السياسية والاجتماعية .
وكان الدكتور زريق بين ١٩٦٠ و٦٢ رئيسا
للجنة الدولية من الخبراء لدراسة موضوع التسول
بالجامعات ، التي انشأها وتبنيها منظمة اليونسكو
والجمعية الدولية للجامعات ، وعضوا في اللجنة
الاستشارية من الخبراء لدى دولة الكويت لانشاء جامعة
الكويت . وعمل رئيسا للجمعية اللبنانية لاصفاء الكتاب
بين عامي ١٩٦٠ و٦٥ ، وكان في عام ١٩٥٥ قد اصبح
عضوا في المجلس التنفيذي لجمعية الجامعات الدولية
التي اصبح رئيسا لها منذ عام ١٩٦٥ .

وهو رئيس وأحد مؤسسي مجلس الإنماء المؤسسة
الدراسات الفلسطينية ، وهي مؤسسة خاصة غير
تجارية ، تضطلع بالابحاث المؤدية لزيادة تفهم المشكلة
الفلسطينية وقد نال الدكتور زريق وسامين من الحكومة
اللبنانية ووساما من الحكومة السورية ، فهو يحمل
مدالية التربة اللبنانية من الدرجة الاولى ووسام الازر
الوطني من درجة ضابط ، وكذلك وسام الاستحقاق
السوري من الدرجة الممتازة ، كما منحته جامعة تشرين
بالولايات المتحدة درجة الدكتوراه الفخرية في الاداب
عام ١٩٦٧ .

من آثاره القليلة : اشهر الدكتور زريق بكتب
تعرضها على النوعية والتاريخ ، وله اكثر من اربعة عشر
مؤلّسا مطبوعا عرفنا منها :

١ - امراء غسان من آل جفنة

لغة المستشرق تيودور نولدكه ونقله الى العربية
الدكتور زريق بالاشتراك مع الدكتور بنسديلي

الجوزي ونشرته اكلاديمية العلوم البروسياتية في
برلين . وطبع في بيروت عام ١٩٢٣ .

٢ - البريدية قديما وحديثا

طبع في بيروت عام ١٩٢٤

٣ - تحقيق تاريخ ابن الفرات

الاجزاء ٧ و٨ و٩ في قسمين (طبع بيروت ١٩٣٦
— ٤٢) الجزان ٨ و٩ بالاشتراك مع الدكتورة
نجاله عز الدين) .

٤ - الوعي القومي

طبع في بيروت عام ١٩٣٩ .

٥ - معنى النكبة

طبع في بيروت طبعيتين عام ١٩٤٨ وقد ترجم هذا
الكتاب الى الانكليزية بقلم ر. بيلي وايندر وطبع
في بيروت عام ١٩٥٦ .

٦ - أي غند

طبع في بيروت عام ١٩٥٧ .

٧ - نحن والتاريخ

طبع في بيروت عام ١٩٥٦ وعام ١٩٦٣ .

٨ - تاريخ العلم (مترجم) للاساذ الدكتور جورج سارتون

بالاشتراك مع ابراهيم مذكور ومحمد كامل حسين
ومستطفي زياده (طبع المجلد الاول في القاهرة
عام ١٩٥٧ — ٦١) .

٩ - هذا العصر المتغير

طبع في بيروت عام ١٩٦٣ .

١٠ - في معركة الخضارة

طبع في بيروت عام ١٩٦٤ .

١١ - معنى النكبة مجددا

طبع في بيروت عام ١٩٦٧ .

١٢ - تهذيب الاخلاق (تحقيق)

لاحمد بن محمد مسكويه طبع في بيروت عام ١٩٦٦

١٣ - تهذيب الاخلاق (مترجم الى الانكليزية)

طبع في بيروت عام ١٩٦٨ .

١٤ - اعظم من القاتلين (محاضرات مختارة)

طبع في بيروت عام ١٩٦٨ .

ولقد اسهم الدكتور زريق مع الدكتور اسد رستم
في تحرير مختارات مما كتب في تاريخ العرب والثقافة
العربية . وفي عام ١٩٦٨ نال الدكتور زريق جائزة رئيس
الجمهورية اللبنانية تقديرا لشهرته كمؤلف .

مقالاته : نشر الدكتور زريق الكثير من المقالات
في التوعية والتاريخ والمجتمع العربي . ودونك لمحات
عن بعض ما وقفنا عليه منها :

١ - الحياة العربية في الشام على عهد صلاح الدين

في مجلة « المورد الصافي » عسدد ٢ اذار ١٩٢٤
المجلد ١٨ .

سبيل محاولة معينة هي : تلمس وثائق جامعات البلاد العربية في تكوين الفكر العربي المبدع ، ويخيل لنا أن خير ما يجمع ويخلص الدور الذي سمدت هذه الجامعات إلى القيام به في هذا المضمار هو القول أن هذه المؤسسات هي الجذيرة بان نعي - أوسع ومي وأصقه - الفنازعات والاضطرابات الفناشية في مجتمعاتها وخارجها . وبأن يكون لها هذا الوعي عامل يحدد واتكامل وإبتداع ، فينفذ أثره إلى مجتمعاتها وتجديدا وتكميلا وإبداعا . إن الفنازع الأول الذي ذكرناه ، القائم بين الفكر والوهم ، هو في طبقة قريضة تختل عن سواها ، إذ لا يسبح فيه بالجمع والتكميل . إنه نزاع بين العلم والجهل ، وبين النور والظلمة . والفعل الإيجابي الوحيد الذي ينشد في مجاله هو مناصرة قوى العلم على جبال الجهل ، وإبهاج الضياء وبشه ليخترق طبقات الظلمة واحدة تلو الأخرى . والجامعة مدعوة إلى أن تكون مجددة - بل قائدة - في هذا النضال ، لأن خير الإمداد والشعوب متعلق - وبخاصة في هذه الأيام - بشدة حنينهم إلى المعرفة . وعيق إيمانهم بها ، وصق جهادهم من أجلها ، وبمقدورهم على الإدراك الصحيح وعلى العمل المبدع المستشهد منه . أما الفنازعات الأخرى - بين العلم والظلمة ، وبين البحث والتطبيق ، وبين النور والجهل ، وبين الفرد والمجتمع ، وبين الولاءات المجتمعية المختلفة ، وبين القومية والإستاتية ، وبين الماضي والمستقبل ، وبين الحرية والمسؤولية ، وبين المطلق والنسبي - فليس لها تلك الأثر المبدع الوحيد الذي يجب أن يتجه إليه المجتمع الأول ، وإنما هي خليفة بان تظل عناصرها في تجاذب وتماول وتفاعل ، وسبيل الخير فيها هو أن يؤدي هذا التوتر إلى رؤى أوضح وأسمى ، وإلى اختيارات أدق وأجمل ، وإلى إنجازات أزهى وأغنى في ميادين التكميل والتجديد والإبداع ! والجامعة مؤهلة بطبيعتها لأن تكون موئل هذا التوتر المبدع . ذلك أن شخصيتها وفعلها ذاتهما يستمدان من التوتر بين عناصرها . فهي في الوقت نفسه في صميم المجتمع وخارجة عنه ، هي منه وله وليست منه أوله . وبقدر ما توثق ربطها به وتبتن جذورها فيه من ناحية ، وتشعر من ناحية ثانية بضرورة التجرد عنه لكي تحسن إدراك شؤونه والحكم فيها ، بقدر ما يكون هذا التوتر بين الاتصال والانفصال ، وبين الاندماج والاستقلال ، حيا يتفاعلا نافذا إلى أعماقها منبها عقليا ، ملها ضميرها ، بهذا التدر تعظم شخصيتها وترتخر حيويتها وينمو ويسمو فعلها ! »

(١) من فصل نشر في كتاب « الجامعة واتسان الغد » الجامعة الأميركية ، بيروت ١٩٦٨

- ٢ - التجارة الإسلامية وأثرها في الحضارة
في مجلة « المتكلم » عدد ٥ كانون الأول ١٩٣٥
المجلد ٨٧ .
- ٣ - كيف افهم التاريخ ؟
في كتاب « الفنون الأدبية » سنة ١٩٣٧ في مجلة
« المكتشف » عدد ٨٨ آذار ١٩٣٧ المجلد ٣ .
- ٥ - جوهر الحضارة العربية (بالانكليزية)
في « بيدل است جورنال » عدد ٢ نيسان ١٩٤٩
المجلد ٣ .
- ٦ - أهمية الانعاش الإجتماعي في المجتمع والدولة
(حلقة الدراسات الإجتماعية) القاهرة ١٩٥٠
- ٧ - القضية العربية
(محاضرة ألقى في الندوة اللبنانية) ١٩٥٣ .
- ٨ - التربية العربية في المجتمع العربي
(برنامج الدراسات العربية) ١٩٥٣ .
- ٩ - مبادئ التكامل الإجتماعي
(حلقة الدراسات الإجتماعية) القاهرة ١٩٥٥
- ١٠ - العرب والثقافة الحديثة
أ نشرت في محاضرات الموسم الثقافي الثاني التي
أعدها وزارة المعارف الكويت وطبعها دار المعارف
بالقاهرة عام ١٩٥٦)
- ١١ - دروس من التاريخ
(حلقة الدراسات الإجتماعية بالقاهرة ١٩٥٦)
- ١٢ - آثار التفريعات الإجتماعية الحديثة
(نشرتها الجمعية الدولية للجامعات في باريس
بالانكليزية عام ١٩٥٩) .
- ١٣ - الجامعة
(مادة للطبعة الثانية من دائرة المعارف الإسلامية)
- ١٤ - الطالب ومسؤوليته الوطنية
(مقال بالعربية نشرته رابطة الاساتذة الجامعيين
في لبنان) بيروت ١٩٦٩ .
- ١٥ - غاندي وتحرير الشعوب
(مقال بالعربية نشر ضمن مجموعة من المقالات
بعنوان « غاندي : تحية من لبنان ») بيروت ١٩٧٠

نموذج من نسوئه

« أن للجامعة (١) وثائق متعددة يمكننا أن نجعلها بنلات رئيسية هي : التعليم والتربية ، والبحث عن الحقيقة لإبها نراث المعرفة ، وخدمة المجتمع بتزويده بالعناصر البشرية المدربة المثقفة التي يحتاج إليها وبالإسهام في شتى وسائل تطوره الأخرى ، وإبهاجز : تعليم ، وبحت ، وخدمة عامة . وليس هذا مجال وصف هذه الوظائف ونفسها بصورة مجردة . ذلك أننا في

أبريسم

ورهيبة اللقاء

١ - اسمي للنفس ان اذيع شيئا كان صاحبه يعتبره سرا او شبه سر في حياته ، فضع به على الناس ، واخفاه على الكتبان ، حتى طواه الزمان وصار هو وما اخفاه ملكا للتاريخ ، في ذمة النكران ، وميراثا لمن خلفه من اهله وذويه . واني لاعتبر هذا الميراث ملكا للناس جميعا ، فهو ليس مالا او عقارا او آسارا مادية يمكن الاختلاف عليها او التنازع فيها ، بل هو مجموعة كلمات تضيء ظلمات العقل وتمسح باشعثها مستنقعات التخلف النفسي والاجتماعي .

وليست القضية الان مدى احقية الناس في ما خلفه الكاتب من آثار أدبية او نتاج فكري ، وانما القضية هي قيمة هذه الآثار وذلك النتاج .. لان كل شيء أصبح بالضرورة في ايد اخرى وان اليد التي كانت تحرسها تعجز ان تمنع عنها احدا بفعل الزمان والاقدار !

ولقد كان المرحوم محمد عبدالحليم عبدالله من النفر الذين يؤثرون الصمت حيال بعض افعالهم سواء ما نشر منها او ما لم ينشر ، فقد صرح لي - رحمه الله - ذات يوم ، بان احدي قصصه المنشورة لم تعجبه شخصيا ، ولم يرض عنها فنيا ، ومن ثم فانه رغم الالاحاح عليه لم يقبل باعادة طبعها في حين ان بقية كتبه طبع مرات كثيرة وبكميات اكثر من الكميات السابقة (١)

وكان من نتاجه الذي لم ينشر في حياته باكورة نتاجه الذي اعجز به اعتزازه جملته يضعه في حرز امين: قصة « ابريسم » او « غرام حائر » ، وقد كتبها في عامي ١٩٣٥ ، ١٩٣٦ وفي اثناء دراسته طالبا في مدرسة

قصة :

محمد عبدالحليم عبدالله



بقلم :

حامي محمد القاعود



احتراما للواجب وايتارا للضمير الوطني ، ويفترق الحبيبان نرفقا مرا ومؤثرا وعميقا ، ويودعان الى حيث المجهول . وفي الجزيرة يحقق رجاء كل آمال الملك في توطيد الملك وثبوت دعائم الحكم بيد انه يهزم الشوق ليلة لا للانطلاق فيسبح على وجهه ركباً فرسه ويتقطع به الطريق فيفضل تائها وينتظر الموت القريب الذي أصبح محققا في ذلك المكان المنقر . وفي خلال حنئته هذه تنجده الإندثار نجاة بقفصة تبحم من أخيهما الذي يشترك في حراسة الشواطئ ، فتحمله على فرسها ثم يصحبان بعضهما كل على فرسه حيث يفترقان عند القصر . وتبدأ من ثم قصة أخرى حيث يتعلق قلب «رجاء» بقلب هذه الفتاة التي تعمل مبهلة في أحد الملاعب بالجزيرة . ولكن رسائل «أبريسم» والذكريات القديمة تحيي فيه الحب الأول وتجعله يقطع صلته بـ «كاهيليا» المبهلة الفاتنة ، وعندما يؤذن له بالعودة الى عاصمة الملكة يركب السفينة جزلا نرفقا بقلوب الحبيبة الغالية ، وتنتظر هي عودة الحبيب الغالي ، ولكن الحظ العاتق والقدر العاتي والزمان المريعس يابون عليهما ان ينمعا بالحب ويجنبا ثماره ، فتهب عاصفة تفرق السفينة بالقرب من الميناء ، وينتشلون الفرقتى ومن بينهم «رجاء» الذي بقي حيا حتى خرج من الماء ونظر نظرة في وجوه الحاضرين استقرت أخيرا على «أبريسم» ثم شق شققة انطلبت بعدها الإحسان وصعدت روحه الى بارئها ، وتنتهي قصة حب فريدة بسلامة خزيمة دامية .

٢ - والحق انني وقتت ازاء هذه القصة مندعشا تعمروني هذه التلتي لشيء جديد يحمل خصائص البكارة الأصلية والأصالة المبكرة . فقد شعرت معها ان هذا العمل الأدبي يشدني بعنف وقوة الى المتابعة والاستطلاع بعكس الأعمال الأدبية التي تعرفها لكثير من أدبائنا في مطالع حياتهم ، وبالرغم من ان هناك عيوباً فنية في هذه القصة الطويلة ، الا انها تحل في اعماقها تكمرا ناضجا واسلوبا مشرقا واخلاقيا بالامل ينبعث من معاناة الواقع المرير .

وهذه القصة تحل في طياتها صورة ناضجة للعصر الأدبي وللبراج الفني الذي كان سائدا وقتئذ ، وفي تلك الفترة من الزمان التي شهدت مخاض الثورة الاجتماعية والسياسية ، كانت البلاد تتفاوض مع الانجليز حول الاستقلال وتنشج بالثورة ، وتتفرج طائرات الشباب المصري احتجاجا على معاهدة ١٩٣٦ تطلعا الى الخلاص ، وسيرا في طريق الحياة الإنسانية بلا وصاية ولا اوصياء ، وكان الكاتب يكتب روايته هذه ايضا .

وكانت يحمده عبد الحليم عبدالله جزءا لا يتجزأ من واقع هذا الشباب المتفجر والذي تهملى نفسه باحاسيس شتى تجاه نفسه وربه ومجتمعه ، فيمي هذه الاحاسيس

دار العلوم العليا - كلية دار العلوم الان - وكتب معلّمها في قريته (٢) تحت ظلال الاشجار الوارفة وبين خضرة الحقول الزاهرة ، وكان معه آنئذ احد اشقائه يشاطره آلام الخاضة ومعاناة الميلاد ، وكان عمره آنئذ حوالي الثانية او الثالثة والعشرين ، وهي سن مبكرة نوعا بالنسبة لروائي المفروض فيه ان يكون قد خاض عذاب الحياة وشرب من تجاربها الكثير . واذا كانت هذه السن المبكرة تعد بداية الاحتكاك الحيوي مع العالم الاجتماعي والفني الذي يحيط بالاديب فانها بالنسبة لحمد عبد الحليم عبدالله تعبر عن مدى رؤيته للاشياء المحيطة به وتسميره لها ونفاعله معها ، وتوضح قدرته على التوفيق او عجزه بالفشل ازاء الفكر القائم والفن المنتظر .

٢ - وتودر احداث القصة في مملكة من الممالك مجهولة الاسم والمكان والزمان ، وابطالها الرئيسيون ثلاثة : سدقيسان - رجاء وسداد - وفتاة هي «أبريسم» (٣) بنت ملك الملكة ، وهو ملك بلا اسم ايضا ولا ملامح له ، مثله في ذلك مثل ابطال القصة نالا تعرف الا اسما مفردا لكل منهم ، وكل الاسماء تقريبا يصح اطلاقها على الرجل والمرأة .

ويعمل سداد مع الملك في قصره كـ مساعد او مستشار او وزير . . وتنازع نفسه باغراء من معارضي الملك ، يخائنه والانقلاب عليه ، فيحدث صديقه «رجاء» الفقير والذي يحيا مع امه في بؤس وشقاء ، يحدث عن رغبته والهاجس الذي يخلع في دأكلته ، فيطلب اليه معارضا هذه الرغبة ويذكره بالفرق بين الامانة والخيانة . وتشاء الصدفة ان يسرق قصر سددا ويكفلون في بيت المسروقات رسالة «رجاء» المعارضة للخيانة ، فتصل هذه الرسالة بطريقة عجيبة الى الملك ، حيث تلقها احد الضباط من سبي كان يبيع الحافظة التي تحويها في احد السوارع . ويقوم الملك بالانتقام من «سداد» ويضعه في الحبس الدائم . ويعين «رجاء» بدلا منه مستشارا او مساعدا او وزيرا . وتعلم من خلال الرسائل التي تبودلت قبل تولي «رجاء» منصبه الجديد ، وقبل حبس «سداد» انه توجد في قصر الملك قفصة جميلة هي «أبريسم» ابنة الملك . . ومن ثم نجد الاحداث تدفع «رجاء» و«أبريسم» حين يلتقيان ان يتعلقا ببعضهما تعلقا عنيقا وعميقا ايضا ، ويتبدلا اشواقا محاصرة بالخوف والرجاء . ويتضح لنا ان هذا الحب قام على دعائتين اولاهما : اعجاب «أبريسم» ب«امانة» رجاء ، واخلاصه وتانيها : التعاطف المتبادل بينهما .

وحين يتاح لهذا الحب النمو والازدهار يتدخل القدر ليحرهما من النعم بثرة هذا الحب ، فيمسح قرار الملك بابعاد «رجاء» الى احدى الجزر لاختضاعها وبث الابن في ربوعها . وينزل رجاء على رغبة الملك

ويجعلها داخل وجدانه ويحللها بفكره ، ويحيا مع التأمل الطويل بنظر بعيد وفكر ثابت .

ومحمد عبد الحليم عبدالله فلاح من مصر ، يشيل على كتيه هوم الفرية والآله ويحلل في أعماقه روحها واحلامها ، وكلها بهائشها وجانها ومستقبلها تسكن قلبه ولا تبرحه ولا يبرحها لأنها بعض منه وهو جزء منها كيان واحد لا يوت مهما تغير الزمان . فما بالك ومحمد عبدالحليم يكتب « ابريسم » وهو في اول عهده بالدينية ؟ ومن ثم اراني اقول ان « ابريسم » تدن في تركيبها واطارها للروح الشعبية المصرية ، وما ينشر عنها في القرى بألسنة المداحين وشعراء الربابة والمغنين ، وهو خليط من « الف ليلة وليلة » و« سيف ذي يزن » و« الاميرة ذات الهمه » و« ايوب » و« ياسين وبهية »... الخ .

واغلب هذه القصص يدور في دنيا الملوك وداخل تصورهم وبين ابناءهم وبناتهم ووزرائهم وكل من ينتمي الى هذه الدنيا مع وجود رمز شبه دائم لواحد من الفقراء او البسطاء او ابناء البلد على العموم .

وقد تحقق في « ابريسم » وجود « رجاء » مثلاً لهذا الشعب وواحد من ابناءه الخلس الى جوار الملك ، وهو بجواره رمز للوفاء والبروء والاخلاص . واظن ان محمد عبد الحليم قد ترسبت في أعماقه ملامح الروح الشعبية كاي قروي عاش في رب مصر وتشبع بهذا الريف ليلاً ونهاراً . وانطلق في هذا القول من واقع شخصي مرت به وما زلت احياء حتى الان . ولا اخاله قد جانب الحقيقة والصدق حين يدعي هذه الروح فتسقط ظلها على اول عمل فني له يحجبه عن الناس ولا يذيعه عليهم .

وقد شهدت فترة البداية او المخاض الادبي لمحمد الحليم ازدهاراً لا مثيل له في المذاهب الادبية والتيارات الفكرية المختلفة ، وقد شاع مذهب الرومانسية في مصر شيوعاً كبيراً خاصة لدى الشعراء ، وهو مذهب له تيمية الفنية والموضوعية بالنسبة للظروف التي نشأ فيها ، فقد قام على انقاض الكلاسيكية في فرنسا والمانيا وانجلترا ، وحطم قواعد السارمة وتجاوز عطاشها المحتفظ ، واتلقى بحلق في آفاق العاطفة الانسانية بلا حدود . ولا ريب ان محمد عبدالحليم عبدالله قد تأثر بهذا المذهب تأثراً كبيراً لا يمكن انكاره بيد انه استطاع ان يستوعب ملامحه استيعاباً صحيحاً وليس خاطئاً كما حدث لمعظم الادباء في مصر الذين ظنوا ان الرومانسية تعني الحديث عن قضايا الحب والغرام والوحدة والكتابة فقط ولا شيء اكثر من هذا ، بينما الحقيقة تخالف ذلك وتعني الثورة على الجود والفقر والطغيان والركاكة والتقليد . واعتد ان عبدالحليم فهمها في هذا النحو القريب الى الصواب ، ومن ثم جاءت قصة حبه

عفيفة وغير مبتذلة ويشرق خلالها الامل حتى في احلك ساعات الظلام رغم الاجباط الواقف بالرصاص في حياة الإبطال .

وفي تلك الفترة كان للاستاذ احمد حسن الزيات صاحب الرسالة - الفصل الاكبر في اناقة الفرصة لنشره هذا المذهب والترويج له . فقد اعطى من صدر « الرسالة » متسعاً لكل الشبان الادباء الذين يتطلعون للحرية والتعبير الثائر ، ونشر آنئذ ترجمته الرائعة « لآلام فرات » الانموذج التي لما كتبه واحد من زعماء الرومانسية في الغرب وهو الشاعر الالمانى « جيته » . وكان الزيات في ترجمته بالافساسة الى ما كتبه من مقالات وما اخرج من كتب رمزا للاستلوا الجيد والاحساس الفياض والوجدان المنحصر مما دفع معظم الناشئة الى تقليده واحذائه . . واعتد ان عبد الحليم قد تأثر بذلك الى حد ما وسنوضح ذلك فيما بعد .

بيد ان هذه الرومانسية التي اصفت ظلها على « ابريسم » لم تكن خالصة تماماً فقد شاركها رزمزية شفاة وجذور واقعية رقيقة جدا ، وهو ما يجعل القصة اكثر انتهاء للظروف الاجتماعية السائدة وقتئذ . ويؤكد ذلك موضوع الصراع بين العاطلة والواجب ، وتغلب الواجب على العاطلة في معظم المواقف الحساسة وهو ما يحقته الكلاسيكيون وينطلقون منه بادي ذي بدء كما في اعمال راسين وكورني .

فقد يشيل البعض ان « ابريسم » تتحدث عن قصة حب عاطفية - متغلوطية - نسية الى المتغلوطين الدجوع والاشجان ليس الا ! والحقيقة اننا لو تبيننا ما جاء فيها فسوف نذكر ان الكاتب الموهوب اختصار لوضوعه الحساس جداً واعني به - الحكم - اطارا يحقق له عنصر التشويق وانتباه القاري طوال الوقت وانجذابه الى كل حرف في القصة .

ان الملك في القصة له معارضون وله مؤيدون ، وبين هؤلاء واولاء مترددون من بينهم « سداد » صديق « رجاء » الذي تحدث نفسه بالخيانة بعد ان عاش في رعد من العيش والرفاهية . بيد ان الاغراء يزين له ان الانقلاب على الملك سوف يحقق له كثيراً من هذا الرغد وتلك الرفاهية . ولكن رجاء لا يعجبه ذلك لانه يدين بالولاء للملك ما دام انه مخلص للشعب ومحقق لاملانيه - وهو راي صريح في موضوع الملك - ويرى ان من واجب السامع للملك ان يخلص ويجد ولا يخون ولا يحقق ما ربه الذاتية فقط ، وهو راي صريح في الحكم وحواشي الملوك . وحين يدوس « رجاء » على قلبه وعاطفته ليحب « ابريسم » ويذهب بعيداً الى الجزيرة المعزولة ليحقي واجبا وطنياً مقدساً وهو الاستقرار والاخاء ، فانه لا ينسى ان يوفي لصاحبه « سداد » الذي اسنائه الالم والفكر في سجنه حتى صار خطيباً

من الشر في شيء ، ان جنين الخيانة الذي يتكون في نفسك سيكون من قاتلك ان آن له ان يتم تكوينه ، فاقض عليه انت قبل ان يقضي عليك ولا تتخذ السكن لنفسك بنفسك . فان هذا كثير على دابة بلهاء» (٨) .

تأمل تصوير العربي للخيانة في عبارة الكاتب ، انه تصوير

غريب في ادبنا العربي ورائع .
و «رجاء» يعلن مع معارضته للخيانة رايه في الملك

والحكم اثناء مناجاته مع حبيبه «ابريسم» :

«... لو لم يكن العدل محور حكمكم والاخلاص لحة عيلكم ، ما ابقى الله شجرة الملك ناضرة الاوراق ناضجة الثمر ، ولسلط عليها ريحا عاصفة تيمثر اوراقها وثمارها وتتركها عودا عازيا متكسرا ، لا ينفعه الظل ولا يجديه الحيا...» (٩) .

وهو مع ذلك وطني من طراز ممتاز .. في سبيلك

ايها الوطن انزل كاس الخوف من على ثغري ضاحك السن كما انزل سقراط كاس السموم كذلك ، وسقراط

مات شهيد العلم ، فلأمت انا شهيد الوطن .. (١٠) .

اما فكره في الحب فهو تفكير من لا يابن الى المرأة

او من يتشكك في اخلاصها ووفائها ، وهو رأي يحصل

المنافسة وان كان من الانفلان ان نورد هذا فها هو :

«... ولان المرأة تد تحب الرجل لفضيلة فيه ، وما

اقل اللاتي يهوين الرجال من اجل الفضائل . انك لا

تجدهن الا بين ذوات النفوس الشعرية الجميلة التي

تكلمت من ارجس المادة وغاسدها ، وتليل ما هن ،

وتليل لا ينهار غرام مائة الفضيلة لاثنا سبب خالد

بقي ، وليست بالعرض الزائل ، ولا الظل المتفل ،

فلا تلتفت الى الفؤاد بل الى القلب ، والحديث كثيرا ما تعرض عنه

الفؤاد او كثيرا ما يكون اثره سريع الزوال ، فمعاطفة

المرأة بتحولة ليست تقرر على قرار (١١) وهو رأي

مثالي ثابا ، وحين يستمسك به المرء فان مصاعب الحياة

سوف تصبح اكثر تعقيدا وجفانا .

بيد انه من خلال هذا الحب تستبين ملامح المقاومة

لفواجع الزمان وضرباته «قل لشحايا الزمان هونوا منكم

فانا شربنا براراً على القذى ، ثم رقت مشاربنا» (١٢)

والطريف في هذا الحب عند محمد عبد الحليم عبدالله انه

يقرب بين الطبقات ، وليس طبقتا ، بين افراد الطبقة

الواحدة كما يرى البعض واسبابه في ذلك : «... لاني

اعرف الحب مكانا يلتقي فيه الحبيبان ان اختلفت بهما

الاماكن ، فهو معراج يعرج به الاذن الى الاعلى ،

وهو مهواة يهوى بها الاذن الى الاعلى ، ولا يزالان في

طريقهما حتى يلتقيا فيستقرا وهناك تستوي المنازل

والمراتب ..» (١٣) .

٥ - وفي هذه الرواية تبدو شخصية «رجاء»

هي الشخصية الوحيدة التي تكاد تكتمل ملاجها

الانسانية بيننا شخصيتا «سداد» و«ابريسم» غير

واثرا من كيان بال . يزوره «رجاء» ويسعى لاطلاق سراحه ولكنه حين يرى اصرار «سداد» على الخطا يتراجع ويتركه يلقي مصيره كيدا .. ويبقى على وفائه وحيه له فيدنفه ويبيكي بجوار قبره ويضع عليه الزهور .

وعندما يميل القلب الى «كاديليا» يشده التذكار الى «ابريسم» الحب الحقيقي والصادق فيستغفر ويعود الى احضان الحقيقة ناديا ومعتريا بما كان .

ان رجاء انسان مثالي فعلا ، ولكنه معرض للخطا — سنة البشر وطبيعة الادميين — ويعتبر رجاء رمزا للعقل والاتزان والحكمة واكاد اقول انه عصارة لهيوم الكاتب في مطلع حياته وصباه .. «فما شربنا الكساس صافية قدر ما شربناها مزوجة ، ولا راينا السعادة جاشرة قدر ما رايناها بمقودة» (٤) وفي موضع اخر يقول : «ان الزمان اشبعنا اساءة» (٥) والخطا الذي يتعرض له البطل غالبا ما يكون خارجا عن ارادته او هو خطأ الغير يهون ان يخطئ هو في حقهم .

و «رجاء» يحب الوطن ويحس بالغيرة مرة وحرارة حين يبتعد عنه ، ولذا فانه يصف ذاته عندئذ عاد الى هذا الوطن بعد غربة طويلة فلاتي احتفاء الاجل والاحباب «لذت له حياة الوطن وان كانت تنفصا عليه الذكريات وتقرسه يد الدهر المتبوضة . ولكنه تنسج بالظلم حتى ياتيه الكثير ، ولم تنسج عليه الى ما تقصر منه يداه ، وعاش واهله من حوله هيبنة لا يرضاه الا الزاهدون المبتلون ، وما راعه بلى اطار واجازة غداة دخولها ، فهو ابن الزمان البار الذي يخطئ له الاحسان ان احسن ويفر له السوء اذا اساء» (٦) .

ليس رجاء بطلا مثاليا حتى في حبه لوطنه ، وان كانت المراءة تسقط من كل حرف يقوله ؟ يقول في خواطره : «ليلي كالبحر وسفنتي فيه وحيدة تنكسر وانا ربايتها» (٧) .

وتلج على رجاء من خلال انتيال الفكر عوالم الروح والمطهرة والنقاء والسلام .. و «رجاء» مدين بكل هذا للكاتب الذي نشأ نشأة طيبة طاهرة ما عاها القرآن الكريم وسنة النبي صلى الله عليه وسلم .

و «رجاء» ينظر الى الاشياء نظرة موضوعية لا تطغى عليها العاطفة الى حيث يكره ، بل يسير بالعمل المنظم والواعي ، ولعل في الخطاب التالي شاهدا على ما نقول :

«ماذا دهاك يا سداد ؟ وماذا اسابك .
«امن غطة واحدة تطلب لوليك ظهر المجن ، وتملن عليه حريك وجهكاد غير ذاكر عهدا ولا حافظا ميثاقا ؟
امن غطلة واحدة تعمل كل هذا — ان صحت ان تعدد حيلة الملك لنفسه علما — لا يا صديقي ليس هذا

واضحين تماما ، او بمعنى اصح فان الكاتب لم يستطع عالمها الداخلي وركز كل عطائه على «رجاء» الذي يكاد يترجم نفسية الكاتب الشخصية وأفكاره الإنسانية وآراءه الاجتماعية تجاه الأحداث والحياة .

وبخيل الي ان الكاتب حاول ان يرسم شخصوه ويبنى هيكل روايته على نسق «آلام قنتر» التي ترجمها الزيات ، بيد ان هذه المحاولة لم تأخذ طابعاً مبتكراً ولم تحقق نجاحاً كبيراً من ناحية تطور الشخصيات ، وان كنت ارى ان الكاتب تفوق في الاسلوب الذي سرد به أحداث روايته ، وهو اسلوب مشرق ، وفيه قوة وجزالة وفيه من الشاعرية ما يمكن معها التول بان الكاتب يحاول ان يقول شعراً خالصاً ولا يسغه الوقت ليجلس الى موازينه وقوافيه ، فالكفى بان يترسل احبانا ، ويسجع احبانا اخرى ، ويأتي في احبان اخرى بالتعبير مزدوجاً ولا افئنه كان غريباً على عصره فهو ابن بار له ومسائر له ومتقدم عليه ايضاً بما اعطاه للكلمات من تجديد ومعان دقيقة .. وقد كان صاحب الرسالة حينئذ يترجم على عرش الاسلوب في مصر والعالم العربي ويكاد كلامه يكون شعراً (١٤) الا ان محمد عبدالحليم استطاع مع مرور الزمن ان ينطلق منسباً وبخلساً من كل قيد يحده من حرية الكلمة والجملة .

وجاء اسلوبه في الرواية مليئاً بالانتباسات والتضمينات مستعينا بابيات من الشعر العربي والأمثال ويظهر تأثره واضحا بالتران الكريم ، ويمكن للقاري ان يلحح امثال هذه الانتباسات والتضمينات فيها الى : « وهكذا اصبح الياس كالصريم (١٥) فاذا انزل على تفكك الماء اهتزت ويرت واليهت هذا كل روج بهيج (١٦) اصبح سداد فرأى القمر قاعاً صفصاف (١٧) واذاً ماذا عساي ان اعمل فيك .. انا استطع عذابك بما هو اشد من الموت وانقطع ، ان لدينا انكالا وجحيميا وطعابا اذا عصية وعذابا اليها (١٨) » وفكرت النعيم الذي تقاسمنا زمانا وكيف استحال الى عذاب تتجافى منه الجنوب عن المضاجع (١٩) » الان حق عليك العذاب ، فابك بكاء النساء ، لآك لم تعمرف طريق الرجال (٢٠) » وهكذا نجد كثيراً من مثل هذه التضمينات والانتباسات من آيات القرآن وآيات الشعر ، وهناك بيت من الشعر لا ادري لماذا كان يلح عليه حتى سئنه بعض رسائله الخاصة الى خالصته :

« ضاقت فلما استحكمت حلقاتها فرجت وكنت اظنها لا تفرج »

أهو شيء يرجع الى معاناته الخاصة تجاه الحياة والاحياء ؟ ارجح ذلك فقد اجترق بلهيب الحياة ، ومع ذلك كان لديه فرجة من امل وغفرة من نور رغم اليأس والمذاب .

وهناك بعض المردات والتركيبات اللغوية التي استعملها الكاتب في خلال روايته «مل : الصريم — الرنام — الاقبال وجاء الاصيل — وغروب الغزالة — وعدو مكاشح — الى غيرها من المردات والتركيبات التي بات استعمالها غريباً وناذراً في ادبنا المعاصر . وهي على كل حال نذل على مقدرة لغوية لا يملكها معظم الناشئين في دنيا الادب العربي المعاصر بل وكثيراً من الذين تخطوا مرحلة النشأة الى مرحلة النهرس .

٦ — يبقى سؤال : لماذا اثر الكاتب ان يحفظ هذه الرواية بين زوايا مكتبه محجوبة عن الناس حتى ودع العالم اجمع ؟ انصافاً للحقيقة قاتى لم اجد جواباً شافياً حتى لدى المقربين اليه ، وان كنت اعرف شيئاً عن ظروف خفاضا وكتابتها . ويبدو ان رغبة اللقاء بالعالم القاري ، انذ جعلته ينأى بها بعيداً حتى لا يضار في مطلع مناه بالثقل القاسي او الإعجاب الشديد ، وقد كان رحمه الله حساساً تجاه نتاجه وقد قلت في البداية انه كان يرفض طبع الكتاب الذي لا يعجبه مرة ثانية ابداً .

ولعله كان يخشى ان تشف هذه الرواية عن عواطفه وتوازع وجدانه ، فان كلمة «الحب» انذ كانت غير مقبولة على نطاق واسع ، او هي كلمة محصورة ومعنى دائما التساؤل ، رغم ان رجلاً مثل المغفوطي كان سبقاً الى الحديث عن الحب وترجم بعض قصصه مثل «بول وفرجيح» .

والا ان رغبة اللقاء مع الجاهير وبداية التناج والانتباسات والرجوع الى هذا هو المبرر القوي الذي جعله يحتفظ بابريسم في مكتبه بعيداً عن الناس حتى نوحاه الله .

ونحمد الله ان الناس ستراها وتطلع على ملاح البداية لكاتب اصيل اثرى وجدان الشبيبة في مصر والعالم العربي باروع القيم وافضل المثل الإنسانية .

الاسكندرية — حلي محمد القاعود

- (١) القصة التي حدثني عنها هي «الرواح الابيض» وتجرى حولها بقاوضات لإخراجها سيمانيا ، واظن رأي القناد يختلف من رايه .
- (٢) هي قصة كافر يولن مركز كوم حيازة بصرية .
- (٣) «ابريسم» مغرب وليس غريباً خالصاً — راجع المغنار .
- (٤) ١ من المخطوطة .

- (٥) ٤ ص (٦) ٧٠ ص (٧) ٨ ص (٨) ١٢ ص (٩) ٢٧ ص (١٠) ٧٢ ص (١١) ٨٢ ص (١٢) ٨٩ ص (١٣) ٢٧ ص .

- (١٤) يمكن مراجعة مجلدات «وحي الرسالة» و «آلام قنتر» للاطلاع على نماذج الاسلوب .

- (١٥) ٥ ص (١٦) ٧ ص (١٧) ١٥ ص (١٨) ١٩ ص (١٩) ٤ ص (٢٠) ٢٠ ص .

من الأدب

الهندي القديم

اختيار وترجمته: إبراهيم أصلات

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

وقد انتشرت هذه القصص من الهند الى بلاد فارس ومن سوريا الى اليونان ونقل بعضها بواسطة الناسك اليوناني « بلانيوبوس » في القرن الرابع عشر والسذي نسبها الى « ايسوب » . وهكذا ونتيجة لهذا النزويير نسبت الى « ايسوب » بعض الخرافات واقاصيص الحيوانات الشهيرة التي قصها « بوذا » واصبحت احدى العناصر الخرافية المعروفة في حضارتنا . ولكن اذا نظرنا الى الخرافة الاصلية « الحمار في جلد الاسد » (راجع ترجمتنا لها في نهاية هذه الحلقة) ، فانها ارفع منزلة من الترجمة العصرية الحديثة .

لقد تص « بوذا » القصة في صور قليلة وزهيدة من حياة القرية الهندية ، خالية من الظلال غير المحتبلة . كما ان الخرافات التي تستطيع فيها الطيور والحيوانات ان تتكلم بأسلوب انساني تشارك في تعليم المذهب الرئيسي لهذه العقيدة « البوذية » التي تقول بان الانسان عندما يموت فانه يوجد من جديد ، فاذا كان شريرا جدا عاد الى الحياة في صورة ثعبان قاتل

في القرن السادس قبل الميلاد نشأ شكل جديد من اشكال القصة الثورية القصيرة ، خلال حركة دينية في الهند القديمة . ان « جواتاما » ، ابن رئيس عشيرة في جنوب « نيبال » ، قد قسام بالدعوة لعقيدة ديكراطلية غامضة ، حيث راح يعظ كيك شارد ، قاصدا توحيد كل الطوائف في نسق عام للخلاص الروحي . ولقد اصبح معروفا باسم « بوذا » او « الرجل المستنير » ، الذي لم يستطع احد من ارفع فئات الكهنة الارثوذكس ان يظهر لعقول الناس ما يروق لهم مثلبا فعل هو . كان يمتلك فكرا قويا ثاقبا ومزاجا خلاقا وساق افكاره تلك الى مواطنيه معتندا على الخرافات المسلية والحكايات مثل القصة النظرية المدهشة « القرد وجواهر الملكة » والقصة الاخرى الساحرة « حكاية الاميرة ساببلا » . وقد اختار حواريه ايضا هذا الاسلوب في الارشاد . والقصص المعروفة غالبا في شمال الهند تبلغ نحو ٥٥ قصة انتفاها البوذيون وجمعوها بعد وفاة هذا المصلح العظيم .



بان يتصوا ويبيعوا « البوذية » عن الهند بحد السيوف وان يكسبوا الى صفوفهم الرجال ذوي الرتب الملكية الذين استخذبوا بعض القصص المأخوذة من البوذية في تصنيف اعمال ولابائهم الراقية وعرفت هذه باسم « هينو بديس » او « كتاب تعليم الابراء » . وقصة « ابن الراجا وزوجة التاجر » هي احدى الاثنية لمقطوعات هذا الكتاب . انها تقدم نوعا من المشاهد الدنيئة للطبيعة البشرية وخاصة العنصر الانثوي منها . والهجوم على اخلاقيات المرأة الذي تضمنته هذه القصص الهندية ظل ذو تأثير كبير على القصص الاوروبي ليضع مئات من السنين . وقد ساعد على هذه الاعترافات تلك الحالة الاخلاقية التي تمتعت بها الهاندا والتي سارت بكثرة في العصور الوسطى . كذلك فان « الخدام الامين » وهي من نفس الكلاسيكيات السنسكريتية ، تتحرك في جو اخلاقي عال . ومع ان هذه العناصر العجيبة قد لاحت غير معقولة بالنسبة للقاري الشرقي ، فان علينا ان نلاحظ ان هؤلاء القوم الذين كتبوا هذه القصص من اجلهم لم يرغبوا قط في اية وسائل اخرى اكثر وضوحا في سخريتها .

قصتان - ٥٦٠ ق.م

● الخمار في جلد الاسد

في الايام التي كان فيها « براهما » ملكا على « بينارس » كان « بوذا » المنتظر قد ولد لاحد المزارعين وعندما شب راح يتكسب عيشه من فلاحه الأرض . وفي ذلك الوقت كان هناك بائع جوال ، اعتاد ان ينتقل من قرية الى اخرى ، يبيع البضائع التي كان يحمله على ظهر حمار . وكلما كان يجد نفسه قريبا من احدى القرى ، كان يرفع البضائع من فوق ظهر الحمار ، ويلبسه جلد الاسد ، ويطلقه ليرعى في حقول الارز والشعير . وعندما كان حراس هذه الحقول يرون الحمار وسط القمح ، لم تكن الجيرة تواتهم لطرده بعيدا ، معتقدين انه اسد .

وفي احد الايام توقفت البائع بجوار قرية ما . وبينما هو يعد وجبة افطاره ، البس الحمار في جلد الاسد ، واطلعه على احد حقول الشعير . ولم يجرؤ هؤلاء الحراس بطبيعة الحال ان يقتربوا من الحيوان ، بل عدوا الى بيوتهم وهم يذيعون الخبر . وفي الحال خرج القرويون بالسلاحهم في ايديهم وهم ينفخون الابواق

او حيوان بري او اي شيء آخر اكثر بشاعة ، اما اذا كان قد اجتمع لديه رصيد من الاعمال الطيبة ، فانه يولد في منزلة رفيعة ويسر ويظل كذلك طيلة حياته ، والرجل المقدس مثل « بوذا » باستطاعته ان ينال من القوة الروحية ما يكتسبه من ذكر ولادته الاولى ، والقصص الاصلية الخمسائة والخمسين المعترف بها ، واكثرها كتب حول « بوذا » وتجاربها مع الحيوان والطير والانسان ، قد عرفت باسم « جاكاتا » او « قصص اصلية » . وتثر احدى هذه القصص « حكمة بوذا » قضية هامة ، فهي تتماثل من الناحية العملية والاقتصادية المنزلة (حكمة سليمان) (١) . وما زال الدارسون يبحثون ان كانت « الهندوكية » قد اتصلت بالعبرية خلال الغزو البابلي ام لا .

وعندما كانت قصص « بوذا » قد دونت في مكان ما حوالي سنة ٣٥٠ ق.م ، كانت شخصية القديس الارثوذكسي الهندوسي قد أصبحت معروفة فجأة بأعينها الفنية وجوها الساهر في ال (قصص اصلية) ، بمعنى ان صراع نمو هذه الطائفة الجديدة (الهندوس) قد عرّض تأثيره على مجموعة من افضل هذه القصص حيث سرقوا بعضها وصنعوا كتبهم « باتشا تانترا » الذي يعود الى ٢٠٠ سنة ق.م وهو يحتوي على دروس الاخلاق الشهيرة والروايات الالهية . لقد كان تكريس البوذية لهم وحماية طائفة الكهنة واضحا لهؤلاء الذين ادهشهم ما انطوت عليه هذه الاتفاقيات ، ويبدو انهم لم يتحسروا هزليا .

ولم يلجأ الهندوس الى عاية الناس ولكنهم ارادوا التغلب على منافسيهم باستمالة الملوك واقناعهم

(١) سبلاط الفاري ذلك عند الاطلاع على الترجمة الكاملة لهذه القصة في نهاية هذه الحلقة . ولعله من الغريب ان تصيف بان موضوع مسرحية « برنولد برخت » المخرقة « دائرة الطباشير القوقازية » مأخوذة من هذه القصة التي تشب - ايضا - الى الصينية القديمة ، وان كان يقدمها في ضوء تفسير جديد ينقل وفكرية مختلفة . ان الطفل يوضع داخل دائرة مرسومة بالطباشير ويأمر القاضي « اذك » الام الاصيلة والخادمة ان تشد كل منهما الطفل الى ناحيتها . ولا تنتهي مسرحية « برخت » بان تشد الام الطفل الى ناحيتها - بل انطلق الانفصاصة القديمة - بل الخادمة « جروشا » هي التي تفعل ذلك ، لانا هي التي تربت بالطفل واطلته برعايتها واراضته وربته وتزوجت في سبيله بل لا تحب . فالاجندر بحماية الشيء ورعايته هو الاحق بملكته . ذلك هو التفسير الجديد الذي يقدمه « برخت » لهذه الحكاية القديمة .



لقراره ام .. فلما وافقتا امر يان يرسوا خطبا على الارض وارقد الطفل عليه ، وطلب الى الغولة ان تأخذه من ذراعيه والى الام ان تأخذه من سائتيه ، وقال :
— سيكون الطفل من نصيب التي ستجذبه الى ناحيتها .

ولكن الطفل بكى عندما جذب جسده الرقيق ، ورات الام كيف ان الالم قد غلب طفلها الصغير ، واحزنها ذلك حتى اوشك قلبها ان ينقطر ، فتركته من يديها ووقفت نوح . وعندئذ قال « بوذا » للمشاهدين :
— من هي التي تملك قلبا رحيبا بالاطفال ، تلك التي تدهم ام التي لا تدهم ؟

فاجابوه :
— سيدي ان قلب الام لرحيم .
فقال :

— اي هاتين المراتين هي الام اذن ؟ التي اخذت الطفل من ذراعيه ام تلك التي تركته من يديها ؟
فقالوا :

— التي تركته من يديها هي الام .
— هل تعتقدون جميعا اذن ان الاخرى امراة سيئة ؟
فقالوا :
— سيدي ! اننا لا نملك ان نقول .

فقال :
— الحق ان هذه غولة ، وقد اخذت الطفل لتأكله .

فصاحوا :
— سيدي ! كيف عرفت ذلك ؟
قال :

— لان عينيها الحماويين لا تطرفان ، ولانها لاتعرف الخوف ، وليس في قلبها رحمة . ثم التفت اليها وزجرها :

— ايها المرأة الحمقاء ، بسبب ذنوب حياتك الاولى بعثت مرة اخرى في روح شريرة وما زلت خاضعة الى الان .

وبعد ان انذرها واخذ عليها عهدا بان تحافظ على الوصايا الخمس ، اطلق سراحها . اما ام الطفل ، فقد مجدت « بوذا » وقالت :

— مولاي ، ايها الحكيم العظيم ، لك طول البقاء . وانصرفت وهي تمش طفلها الى صدرها .

القاهرة — ابراهيم اصلان

ويدقون الطبول ، واقتربوا من الحقل بالقدر الذي سمحت به شجاعتهم ، وبدأوا يطلتون صراخهم وهم يرتجفون من الزئير الذي كانوا يعتقدون ان الحيوان سوف يطلقه ، ولكن الحصار الذي انتزع تمايلا من هذه الضوضاء ، ناجما الجيع راح يهيق بهما من ان يزار . وعندما علم « بوذا » حقيقة هذا الحيوان انشد هذه الابيات :

« ليس هذا باسد يزار
ولا هو نير ولا عهد
انما هو حصار بانس وتعيس
ينهق في جلد اسد » .

وعندما تأكد القرويون ان هذا المخلوق ليس اسدا حقيقيا ، بل هو مجرد حصار ليس اكثر انهالوا عليه ضربا حتى تكسرت عظامه ، ونزعوا عنه جلد الاسد ، وعادوا الى بيوتهم . وعندئذ خرج البائع من المكان الذي كان يختبئ فيه ، وعندما رأى الوبطة التي وقع فيها الحصار ، انشد الابيات التالية :

« طوال حياتك وانت حصار احقر
كان بمقدورك ان تغدق على الارز والتسمير
وانت في ثياب اسد قدير
ولكن نهيق افسد كل شيء » .

وبينما كان مستمرا في كلامه لمنفق الحصار في الحال .

● حكمة بوذا

في احد الايام ، اخذت امراة طفلها ، وزهبت الى بحيرة الاستحمام . وبعد ان غسلت الطفل هبطت الى البحيرة لتغسل هي الاخرى . وكانت هناك غولة على مقربة من البحيرة ، رأت الطفل واشتهت ان تأكله فانخذت لنفسها هيكلة امراة ، واقتربت من بحيرة الاستحمام وقالت لام :

— انه طفل جميل جدا . هل هو ابنك ؟

وعندما علمت انه ابنها حقا سألت هل في مقدورها ان ترضعه ، ووافقت الام ، فارضته برهة قصيرة ثم اسرعت بالفرار به . ولكن الام رأتها فجرت وراءها وابسكت بها وهي تصيح :

— ماذا تعلمين بطفلي ؟
فقال الغولة :

— ومن اين جئت بالفلام ؟ انه طفلي انا .
واختصمتا بشدة . ومرت بقاعة محكمة « بوذا » وهما تنتشجان بصوت عال . ولما سمع بوذا الضوضاء استلم منها عن هذا النزاع وسالها هل ستدعسان